محاضرات في :

تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها

إعداد

دكتور

مصطفي محمود الشعيني

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية الآداب بقنا

قسم التاريخ

العام الجامعي

٢٠٢٣-٢٠٢٤م

الكلية	التربية
الفرقة	الثالثة
التخصص	التاريخ
عدد الصفحات	١٦٧
إعداد	أ.م.د. مصطفى محمود الشعيني

فهرس الموضوعات.

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	٦-٣٢
الفصل الأول" ماهية الدولة البيزنطية" ✍ مجتمع العصور الوسطي. ✍ المسميات التي أطلقت علي الدولة البيزنطية. ✍ الحدود التاريخية للدولة البيزنطية" البداية والنهاية". ✍ مصادر دراسة التاريخ البيزنطي. ✍ تدريبات على الفصل	
الفصل الثاني " عصر الإمبراطور دقلديانوس وقسطنطين الكبير"	٣٤-٤٨
✍ **١ الإمبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م)** ١- إصلاحاته في المجال الإداري. ٢- اضطهاد المسيحيين. ✍ **الإمبراطور قسطنطين (٣٠٥-٣٣٧م)** ١ -مرسوم ميلان٣١٣م. ٣- بناء القسطنطينية٣٣٠م تدريبات على الفصل	
الفصل الثالث **تاريخ الأسرات الحاكمة في الدولة البيزنطة(٣٣٠-١٤٥٣م)"**	٤٩-١٢٨
✍ **أسرة قسطنطين (٣٠٦-٣٦٣م)** الحرب الأهلية ٣٥٠-٣٥٣م الإمبراطور جوليان وموقفه من المسيحية ٣٦١-٣٦٣م:	

الموضوعات	رقم الصفحة
✍ **أسرة فالنتيان** (٣٦٤-٣٧٩م) إنقلاب بروكوبيوس ٣٦٥-٣٦٦م خطر القوط الشرقيين (٣٦٧-٣٦٩م) ✍ **أسرة ثيودسيوس** (٣٧٩-٤٥٧م) سياسية ثيودسيوس الدينية سياسة ثيودسيوس الخارجية الحرب مع بلاد فارس في عهد ثيودسيوس الثاني ✍ **الأسرة الليوانية**(٤٥٧-٥١٨م) العلاقات مع القوط الشرقيون الحرب مع الفرس الساسانيين ٥٠٢-٥٠٥م ✍ **أسرة جستنيان**(٥١٨-٦٠٢م) تشريعات جستنيان ثورة نيقيا ٥٣٢م الإصلاحات الإدارية حروب جستنيان مع الوندال انتشار الطاعون" طاعون جستنيان" ✍ **أسرة هرقل**"٦١٠-٦٩٥م" استرداد الصليب المقدس العلاقة مع المسلمين علاقة الإمبراطورية البيزنطية بمملكة الخزر اليهودية ✍ **الأسرة الإيسورية والأسرة العمورية** الحركة الأيقونية واللأيقونية. ✍ **الأسرة المقدونية** (٨٦٧-١٠٥٥م) عصر القوة الإمبراطوري	

الموضوعات	رقم الصفحة
✍ **أسرة دوقاس"١٠٥٩-١٠٨١م"** **الأحداث المهمة في عصر أسرة دوقاس " معركة مانزيكرت ١٠٧١م"** ✍ **أسرة كومنينوس"١٠٨١-١١٨٥م"** **الألقاب** **الحملة الصليبية الأولي١٠٩٦م** **الحملة الصليبية الثانية ١٠٤٧-١١٤٩م** **معركة ميركيفالون ١١٧٦م** ✍ **أسرة أنجيليوس (١١٨٥-١١٩٥)** **الغزو اللاتيني للقسطنطينية١٢٠٤م** ✍ **الأسرة اللاسكارية في نيقية(١٢٠٤-١٢٦١م)** ✍ **اسرة باليولوجاس(١٢٦١-١٤٥٣م)** **سقوط القسطنطينية ونهاية الدولة البيزنطية** **أسباب ضعف الإمبراطورية البيزنطية** **تدريبات على الفصل**	
الفصل الرابع":الحياة الإجتماعية "	١٢٩-١٥٩
✍ **التركيبة السكانية للمجتمع البيزنطي** ✍ **وضع ومكانة المرأة.** ✍ **الزواج في المجتمع البيزنطي.** ✍ **الرعاية الاجتماعية.** **تدريبات على الفصل**	
الفصل الرابع: " التعليم في المجتمع البيزنطي"	١٦٠-١٦٩

مقدمة

تُعد الإمبراطورية البيزنطية امتدادًا للإمبراطورية الرومانية الغربية، والتى لم تلبث أن سقطت علي أيدي البرابرة الجرمان عام ٤٧٦م، في حين قُدر للإمبراطورية البيزنطية البقاء والاستمرار حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك بفضل موقعها الجغرافي المتميز والمنعزل عن الغارات الجرمانية، وكذلك بسبب قوة حصونها والتى جعلتها بعيدة المنال عن أعدائها، وعندما سقطت روما أخذ الأباطرة البيزنطيون يدَعون أحقيتهم في ممتلكاتها الغربية، ونلاحظ ذلك من خلال السعي الدائم من أباطرة بيزنطة لإحياء الإمبراطورية الرومانية خاصة وأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم رومان وخلفاء للقياصرة الرومان، لذلك خاضوا حروبًا عديدة مع الدويلات التي قامت علي انقاض الإمبراطورية الرومانية.

والمتتبع لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية يلاحظ أنها شغلت حيزًا تاريخيًا وجغرافيًا كبيرًا خلال فترة العصور الوسطى، حيث استمرت لمدة تزيد عن أحد عشر قرنًا من الزمان منذ وقت تأسيسها علي يد الإمبراطور قسطنطين –بتأسيسه لمدينة القسطنطينية –عام ٣٣٠م إلى وقت سقوطها علي يد العثمانيين عام ١٤٥٣م، بمعنى أنها شغلت فترة العصور الوسطي بأكملها، شهدت خلالها قيام العديد من الأسرات الحاكمة، والتي أدى أباطرتها دورًا مهمًا وحيويًا في توسيع رقعة الإمبراطورية والمحافظة على أمنها واستقرارها، بالإضافة إلى إهتمامهم بمجالات متعددة ثقافية ودينية، حيث أنهم لم يكتفوا بالجانب العسكري فقط، بل أهتموا أيضًا بالحياة الثقافية، والدوائر الأدبية، وخرج منهم علماء وكتاب ومفكرين، كذلك شهدت الإمبراطورية

البيزنطية عبر تاريخها العديد من المناقشات الدينية واللاهوتية إذ أنها كانت معقل الديانة المسيحية والمذهب الأرثوذكسي، بالإضافة إلى ذلك كانت لها علاقات تجارية وسياسية وثقافية واقتصادية مع بلادن العالم الوسيط في أوروبا وأسيا وأفريقيا.

والمقرر الذي بين أيدينا سنتناول فيه ماهية الدولة البيزنطية والمسميات التي أطلقت عليها وقت تواجدها خلال العصور الوسطي، وبداية ونهاية الدولة البيزنطية، وتاريخ الأسرات الحاكمة والأحداث المهمة التى شهدها عصر كل أسرة، بالإضافة إلي جزء حضاري يضم وضع ومكانة المرأة في العصر البيزنطي، والزواج ومراسيمه، وكذلك التعليم العام والديني آنذاك.

الله الموفق

الفصل الأول

"ماهية الدولة البيزنطية"

- مجتمع العصور الوسطي
- المسميات التي أطلقت علي الدولة البيزنطية
- الحدود التاريخية للدولة البيزنطية" البداية والنهاية
- مصادر البحث في التاريخ البيزنطي

اهداف الفصل الأول

بنهاية هذا الفصل يجب أن يكون الطالب قادر على التعرف على :

١-مجتمعات العصور الوسطي بشقيها الشرقي والغربي.

٢-المسميات المتعددة التي أطلقت علي الدولة البيزنطية.

٣-متي بدأ التاريخ البيزنطي؟

٤-متي انتهي التاريخ البيزنطي؟

مجتمع العصور الوسطي:

في البداية نود أن نشير إلى أن تاريخ العالم في العصور الوسطي تكون من ثلاث مجتمعات رئيسة، كان لكل منها كيانه ومقوماته وخصائصه المتميزة، وهم : **المجتمع البيزنطى** والذي كان يدين بالديانة المسيحية علي المذهب الأرثوذكسي، بدولته وشعوبه المتعددة العناصر والتى كان بعضها من أصول إغريقية. **والمجتمع الثاني** وهو الشقيق للمجتمع الأول والمتمثل في الغرب الأوروبي الكاثوليكى – والذي كان يُدين بالتبعية الدينية للبابا في روما– بشعوبه اللاتينية، وأنظمته الموروثة من قدامى الرومان والجماعات الجرمانية المتبربرة، تلك الجماعات التي شيدت ممالك لهم على أنقاض الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي. أما **المجتمع الثالث** فهو المجتمع الإسلامى الذي بدأ بظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ونجح سريعًا في بناء حضارته من عناصر متباينة الأصول والروافد، وكان المجتمع البيزنطي أسبق المجتمعات الثلاثة مولدًا وأسرعها نموًا وكان لحضارته مقام المعلم [1].

وسوف نركز الحديث هنا على المجتمع البيزنطى:

(1)عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦، ص٤-٥; فاطمة قدورة، الحضارة البيزنطية (٣٢٣-١٤٥٣م)، دار النهضة العربية، لبنان ٢٠٠٢، ص٩

✍ المسميات التي أطلقت علي الدولة البيزنطية.

في حقيقة الأمر يُعد مصطلح "الدولة البيزنطية" مصطلح حديث، لم يعرفه البيزنطيون والمعاصرون لهم ، حيث أُطلق على الدولة البيزنطية عدة مسميات، يجدر بنا الإشارة إليها وتوضيحها بما يتوافق بمترادفات وروح العصر الذي ندرسه.

(١) الإمبراطورية الرومانية الشرقية:

أولى هذه المسميات هي الإمبراطورية الرومانية الشرقية؛ وذلك تمييزًا لها عن الإمبراطورية الرومانية الغربية والتي كان مقرها روما، و تمييزا لها أيضًا عن الامبراطورية الرومانية التي تم احياؤها على يد شارلمان في القرن التاسع الميلادي وتحديدًا عام ٨٠٠م. هذا بالإضافة إلى أن المؤرخين أطلقوا عليها هذا المسمى لانهم كانوا ينظرون إلى التاريخ البيزنطي بوصفه امتداد لتاريخ الإمبراطورية الرومانية القديمة، وأن التاريخ البيزنطي ما هو إلا مرحلة جديدة من مراحل الإمبراطورية الرومانية. كما أن البيزنطيون كانوا ينعتون أنفسهم بأنهم رومان وكان الإمبراطور البيزنطي يعتبر نفسه حاكمًا رومانيًا وخليفة للقياصرة الرومان، وقد ظلت تقاليد الحكومة الرومانية تُسيطر على أفكار الأباطرة السياسية حتى نهاية الإمبراطورية. كما نلاحظ أن الإمبراطورية البيزنطية حاولت فرض سيطرتها على الأراضي التى كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية، ومن ذلك موقف الإمبراطور الكسيوس كومنين(١٠٨١-١١١٨م) من قواد الحملة الصليبية الأولي، عندما أصر بأن يقسموا له يمين الولاء والطاعة ، وعليهم أن يردوا جميع الأراضي التى كانت تابعة للإمبراطورية قبل أن يسمح لهم بالعبور إلى آسيا الصغرى في طريقهم إلي الشام. كما أن الإمبراطور

مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) عندما تحالف مع الصليبيين لغزو مصر عام ١١٦٩م كان يرى أن مصر تابعة للإمبراطورية الرومانية وعليها أن تعود مرة أخرى إلى حظيرة الإمبراطورية. والملاحظ أن كُتاب ومؤرخي الإمبراطورية البيزنطية اعتادوا على استعمال لقب الإمبراطور الروماني لكل من يجلس على العرش في القسطنطينية[١].

(٢) دولة الروم:

وهو اسم اطلقه عليها العرب في مصادرهم، وهو ما جاء به القرأن الكريم في سورة الروم لقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم" ألم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بنصر الله[٢]" صدق الله العظيم، وكذلك أطلق عليهم الروم نسبة إلى

(١) محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت٢٠٠٢، ص٩-١٠.
Angeliki E. Laiou," Political History: An Outline",in: *The Economic History of Byzantium*, ed. Angeliki E. Laiou Vol.1, Dumbarton Oak2002,pp.9-30,esp.9.

(2) سورة الروم :١-٤.

غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا : الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب، وافتخروا على المسلمين وقالوا : نحن أيضا سنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، وكان المسلمون يحبون أن ينتصر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب" نصاري" . ومعنى في أدنى الأرض في أقرب أرضهم من أرض العرب ، أو في أقرب أرض العرب منهم ، قيل : هي أرض الجزيرة وقيل : فلسطين ، وهذه المواضع هي أقرب إلى بلاد العرب من غيرها ، في بضع سنين والمراد به هنا ما بين الثلاثة إلى العشرة لله الأمر من قبل ومن بعد أي :، فكل ذلك بأمر الله – سبحانه – وقضائه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي : يوم أن تغلب الروم على فارس في بضع سنين سيفرح المؤمنون بنصر الله للروم لكونهم أهل كتاب مثل المسلمين ، بخلاف فارس الذين لا كتاب لهم ، ولهذا سر المشركون بنصرهم على الروم ، وقيل : نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وهذه الآية من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله ؛ لأنه إنباء بما سيكون ، وهذا لا يعلمه إلا الله. للمزيد أنظر، البخاري، فتح البيان في مقاصد القرأن، ١-٧، ج٥،دار الكتب العلمية، بيروت٢٠١٧، ص٢٥٨-٢٦٠.

البحر المتوسط الذي كان يُعرف ببحر الروم والمتصفح لصفحات المصادر العربية يجد أن المؤرخين العرب درجوا على إطلاق كلمة الروم على الإمبراطورية البيزنطية، ولقب إمبراطور الروم على حاكم هذه الإمبراطورية [١].

(٣)الإمبراطورية الإغريقية أو الهلنستية:

يرى بعض المؤرخين أن الإمبراطورية البيزنطية هي إغريقية هلنستية[٢]، ووصفوا حاكمها بالإمبراطور اليوناني، وعللوا ذلك بأن الإمبراطورية البيزنطية كانت امتدادًا للحضارة الإغريقية القديمة، بوصفها امتداد للحضارة الإغريقية "اليونانية" القديمة [٣].

(٤)الإمبراطورية اللاتينية:

وذلك بسبب سقوط مدينة القسطنطينية في أيدي العناصر اللاتينية(الصليبية) فيما يعرف بالحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م، وإقامة مملكة لهم في القسطنطينية عرفت بالمملكة اللاتينية[٤].

([1]) محمود سعيد عمران، حضارة الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ٢٠١١، ص١٠.

([٢])"العصر الهلنستي" مصطلح تاريخي يُطلق علي الفترة من وفاة الاسكندر المقدوني عام ٣٢٣ ق.م. وحتي قيام الإمبراطورية الرومانية في عام ٣٠ ق.م. وقد سُمي بهذا الاسم تمييزاً له عن الفترة الإغريقية، وهي الهلينية الصحيحة، وعلى أساس أن الحضارة الجديدة منتسبة إلى هذه الحضارة أو متأثرة بها. ويختلف المؤرخون في تحديد معنى لفظة "هلنستي"، وان كان الجميع يتفقون على أن الهلنستية عنوان مناسب للدلالة على حضارة القرون الثلاثة السابقة للميلاد، التي كانت فيها الثقافة الإغريقية تسود، إضافة إلى بلاد اليونان، بلاد الحضارات القديمة، مصر وفارس والرافدين وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين للمزيد عن الحضارة الهلينستية: أنظر

François Ch., *Hellenistic Civilization*, Trans. Michel Roussel ,Oxford: Blackwell, 2003

([3]) طه عبيد ، تاريخ الدولة البيزنطية (٣٢٤-١٤٥٣م)، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص١٧-١٨.

([٤]) للمزيد عن أحوال القسطنطنية خلال تلك الفترة ، انظر، روبرت لي وولف، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١. ترجمة ليلي عبدالجواد اسماعيل، ضمن كتاب تأريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد عبدالله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، عمان٢٠٠٤

(٥) الدولة البيزنطية:

تُعد هذه التسمية حديثة أطلقها عدد كبير من المؤرخين والباحثين مستمدين تلك التسمية من عنصرين أساسيين هما: تحديد هوية الإمبراطورية، ومساحتها الجغرافية، والجلي; أن تسمية الإمبراطورية بالبيزنطية هي تسمية مناسبة ودقيقة ولها ما يبررها، فكلمة بيزنطة مرجعها إلى أن الإمبراطور قسطنطين الكبير عندما بني عاصمته الجديدة" القسطنطينية" سنة ٣٣٠م ، بناها على أنقاض مدينة قديمة تسمي بيزنطة، أسسها الأمير"بيزاس" قائد الجماعات اليونانية التي هاجرت إلى هذا المكان في القرن السابع قبل الميلاد وتحديدًا سنة ٦٥٧ ق.م وعندها عُرفت هذه المدينة بإسم بيزنطة نسبة إلى هذا القائد. وهي عبارة عن امتزاج التعاليم المسيحية والتراث الهلنستي الوثني، نشأ عنه ثقافة خاصة يُشار إليها بالثقافة المسيحية الإغريقية تمركزت بروما الجديدة" القسطنطنية"[١].

والواقع أن سبب الاختلاف الذي نشب بين المؤرخين حول تسمية الإمبراطورية البيزنطية بالإمبراطورية الرومانية الشرقية أو دولة الروم أو الإمبراطورية الإغريقية، وهو أن كل مسمى ساعد في تكوين ونشأة الإمبراطورية البيزنطية من مباديء الرومان اليونان وتقاليدهم ومفاهيمهم السياسية والحضارية وديانتهم المسيحية.

([1]) طه عبيد ، المرجع السابق، ص١٨-١٩.

✍ الحدود التاريخية للدولة البيزنطية" البداية والنهاية"

متي بدأ التاريخ البيزنطي؟

تعددت النظريات واختلفت آراء المتخصصين في التاريخ البيزنطي حول هذا الأمر اختلافًا بينًا، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، وحاول كلًا منهم أن يدعم رأيه بالأدلة والأسانيد وأهم هذه الأراء حول بداية التاريخ البيزنطي:

١- يرى أصحاب هذه الرأي أن سنة ٢٨٤م هى خير تاريخ لنهاية حكم الرومان في الغرب وبداية للإمبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) ، ويرى هؤلاء أن تلك السنة تمثل حدا فاصلا بين زمنين منفصلين تقريبا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية ، حيث تولى فيها الامبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م) عرش الامبراطورية وكان أول من فكر في تقسيمها إلى قسمين : شرقي وغربي ؛ بسبب الظروف التي جدت على الإمبراطورية في ذلك الوقت وهو ما عُرف بأزمة القرن الثالث[١] ، وكان هذا التقسيم

(١)تعرضت الأمبراطورية الرومانية لأزمة كبيرة في القرن الثالث الميلادي، وما تبع هذه الأزمة من مشاكل اقتصادية كبيرة، ترتب عليها الفوضى والاضطراب في أنحاء الامبراطورية ، وتحكمت الفرق العسكرية في الدولة، وصار الجند يولون ويعزلون الأباطرة الرومان، وطغي سلطانهم علي الحكومة، هذه الأزمة كانت نتيجتها حتمية لإنهيار الإمبراطورية الرومانية اقتصاديًا واجتماعيًا حيث زاد علي اثرها عدد العاطلين عم العمل وتعطلت التجارة والصناعة وترتب عليها ايضًا ضعف سلطة المجالس البلدية وتمركزت السلطات كلها في يد الإمبراطور ومساعديه من رجال الإدارة، مما هيأ ظهور فكرة الحكم المطلق. انظر: محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية١٩٩٤م، ص٩; نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية: دراسات في التاريخ السياسي والاقتصادي، دمشق ١٩٦٩، ص٩-١٠.

بهدف تقوية الإمبراطورية وليس إضعافها. ومن المؤيدين لهذا الاتجاه المؤرخ استروجروسكي ostrogrosky حيث يؤكد أن بداية التاريخ البيزنطي تعود للفترة التي استطاعت فيها الامبراطورية التغلب على أزمتها في القرن الثالث الميلادي واقترح تسمية هذه الفترة بالعصر البيزنطي الباكر[١].

٢- يتخذ أصحاب هذا الرأي سنة ٣٢٣م بداية للتاريخ البيزنطى؛ لأنها السنة التي إعتلى فيها قسطنطين الكبير عرش الامبراطورية، وما واكب ذلك من تطورات وتغيرات دينية واجتماعية سريعة، أبرزها انتصار المسيحية على الوثنية واتخاذها شريعة رسمية للإمبراطورية بموجب مرسوم ميلان الشهير الذى أصدره الإمبراطور عام ٣١٣م، وكذلك تأسيس قسطنطين لمدينة القسطنطينية عند التقاء مضيق البسفور ببحر مرمرة ونقله كرسي الحكم إليها، أيضًا شهدت فترة حكم قسطنطين الأول تدعيمًا للإمبراطورية الشرقية، في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الغربية تتجه وبسرعة نحو الانهيار تحت ضربات جحافل العناصر المتبربرة المتدفقة من ناحية الشمال[٢].

٣- اتخذ أخرون من عام ٣٣٠م تحديدًا بداية للتاريخ البيزنطي; لأنها السنة التي تم فيها تأسيس مدينة القسطنطينية على يد قسطنطين الكبير وما صاحب تأسيسها من احتفالات، واتخاذها عاصمة رسمية للإمبراطورية الشرقية، بيد أن المدينة أبت إلا أن تحمل إسم مؤسسها الإمبراطور دون غيره، والتي دائمًا ما إعتبرها الأباطرة ورعاياهم إمبراطورية رومانية [٣]" .

([1])Ostrogorsky.G.,*History of the Byzantine state* Trans. Hussey, Oxford 1956, p.21

([٢])جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية(٢٨٤-١٤٥٣م)، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية٢٠٠٥، ص١٦

([3]) جان- كلود شينيه ، تاريخ بيزنطة، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٨، ص١١.

٤- بينما يذهب البعض وفي مقدمتهم المؤرخ إدوارد جيبون Edward Gibbon إلى اتخاذ عام ٣٩٥م كبداية للتاريخ البيزنطي؛ حيث قام الإمبراطور ثيودوسيوس الاول في هذا العام بتقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين منفصلين بين أبنائه: قسم غربي منحه لإبنه هونوريوس، وقسم شرقي أعطاه لإبنه أركاديوس وأصبح كل منهما مستقلًا عن الآخر ويؤسس لنفسه دولة مستقلة وأسرة قائمة بذاتها، حيث حدد تقسيم العالم الروماني بين أبناء ثيودسيوس قيام الإمبراطورية الشرقية بصورة نهائية[١].

٥-وفريق أخر من المؤرخين يتخذ من أن سنة ٤٧٦م بداية لتاريخ الدولة البيزنطية،لأنها تعتبر آخر العهد بالإمبراطورية الرومانية في الغرب، حيث تنازل فيها رومولوس أوجستولوس آخر أباطرة الغرب عن عرشه، وبذلك انتقلت حقوق الحاكم الغربي إلى الحاكم الشرقى الجالس على عرش مدينة القسطنطينية. كما أنها السنة التي أرسل فيها أدواكر الجرماني شارات الامبراطورية الرومانية الغربية إلى الإمبراطور الجالس على عرش القسطنطينية في الشرق وهو الامبراطور زينون الليوني [٢].

٦- يرى أصحاب هذا الرأي أنه أبان فترة حكم الإمبراطور جستنيان الأول بين عامى (٥٢٧ـ ٥٦٥م) ، لم تكن هناك دولة بيزنطية بعد؛ على إعتبار أن هذا الإمبراطور قضى عهده في محاولة إسترداد واستعادة مجد الإمبراطورية الرومانية

(١) إدوارد جيبون، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم ج٢، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٧، ص١٥٤.

(2) عبدالقادر أحمد اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية، بيروت١٩٦٦، ص٨.

السالف[١]، ومن ثم اعتبر هؤلاء المؤرخين أن جستنيان الأول هو أخر أباطرة الرومان ولم يصبح بعد بيزنطيًا، ويرى هؤلاء أن مدخل التاريخ البيزنطي يبدأ بعد عهد جستنيان الأول أي بعد عام ٥٦٥م ، حيث لم يعد هناك أمل في إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية التي قضى عليها البرابرة، وعلى معالمها وحضارتها، وأنشأوا دولًا وممالك جديدة على أنقاضها، وبذلك يُعد عهد جستنيان أخر محاوله جادة لإعادة الإمبراطوريه الرومانية من جديد [٢].

٧- في حين يعارض فريق أخر من المؤرخين الرأي السابق، ويؤكد أن بداية التاريخ البيزنطي تبدأ بعد الإمبراطور جستنيان الأول(٥٢٧-٥٦٥م)[٣].

٨-وأخرون يرون أن بداية التاريخ البيزنطي ترجع إلى سنة ٧١٧م حيث تولى ليو الثالث الأيسوري(٧١٧-٧٤١م) الحكم وبدأت الدولة في ذلك الحين بيزنطية خالصة

---

(١)عمل الإمبراطور جستنيان علي استرجاع النفوذ الروماني فشن سلسلة من الحروب علي شمال افريقيا من الوندال سنة ٥٣٤م، وايطاليا من القوط الشرقيين سنة ٥٥٢م، للمزيد أنظر، جون هالدون، بيزنطة في حرب(٦٠٠-١٤٥٣م)، ترجمة فتحي عبدالعزيز ، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت٢٠١١، ص١٢.

كما أنه اتجه بانظاره نحو أقاليم الإمبراطورية في الغرب، والتي كانت في حوزة البرابرة الجرمان، وبذل كل جهده في سبيل استرجاع هذه الأقاليم لسلطان الإمبراطور الروماني الشرقي، وكان في سعيه هذا وتصميمه على استرجاع هذه الأقاليم إنما يحقق بذلك المثالية الرومانية. للمزيد: انظر، اسمت غنيم، امبراطورية جستنيان، دار المجمع العلمي، جدة١٩٧٧، ص٢٥.

(٢)جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية(٢٨٤-١٤٥٣م) ، ص١٨.

كان جستنيان بالقلب رومانيًا، يباهي باللاتينية لسانًا وبتاريخ الرومان، ويبعث إلي الحياة من جديد مناصب الأقدمين" البرايتور والكويستور وغيرهما، وليس أدل علي ذلك من أن مجموعة القوانين والتشريعات الجوستنيانية، صدرت كلها باللغة اللاتينية.للمزيد أنظر، هسي ، العالم البيزنطي، ترجمة وتعليق رأفت عبدالحميد، عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٧، ص ٦.

(3)Pirenne, H., *A History of Europe*, London 1939, p.39.

وثُبتت حدودها وهي الحدود التي إستقرت عليها طيلة العصور الوسطى. ومن حججهم أيضًا ظهور المسائل الدينية الكبرى والتي شغلت فترة كبيرة من الزمن كالحركة الأيقونية.

٩- سنة ٨٠٠ م: وفيها تم تتويج شارلمان إمبراطورًا على الغرب الأوربي من قِبل البابا ليو الثالث، ومنذ ذلك الحين أصبح هناك إمبراطوريتان مستقلتان : رومانية غربية مقدسة وشرقية بيزنطية وأصبح لكل منها كيانها وحدودها ومقوماتها وحدودها الزمنية[١].

على أية حال إن مسألة تحديد السنين والتواريخ هي مسألة اعتبارية بحته المراد منها تسهيل فهم التاريخ وتقريبه إلى الأذهان، وليس أن عصرًا أو دولة بدأت في يوم معين أو سنة بذاتها. وإن كنا نرجح عام ٣٣٠م هو البداية الحقيقة للإمبراطورية البيزنطية إستنادًا على عاملين رئيسيين وهم: ١- نقل العاصمة من روما القديمة في الغرب إلى القسطنطينية في الشرق. ٢- الإعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسيمة للدولة على حساب الديانة الوثنية. ولما كان الإمبراطور قسطنطين العظيم هو من قام ببناء العاصمة الجديدة" القسطنيطية" واعترف بالديانة المسيحية، فإن بداية التاريخ البيزنطي يبدأ منذ عهد هذا الإمبراطور.

([١])جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص١٩.

في حقيقة الأمر أعتبرت بيزنطة تتويج شارلمان طعنة صوبتها البابوية والدوائر السياسية الغربية الي صدرها، واعلنت الامبراطورة ايريني وقتها استنكارها لهذا التتويج، وتمسكت بيزنطة بمبدأ وحدة الامبراطورية الرومانية في الشرق والغرب وكانت بيزنطة تعتقد أن الامبراطور الروماني ليس سوي الجالس في القسطنطينية، للمزيد : انظر، إينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون ، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨٩، ص١٤٥.

نهاية الدولة البيزنطية:

تحديد نهاية الدولة البيزنطية لها ظروف أخرى تحتلف تمامًا عن تلك التي حددت بدايتها، حيث شهد العالم في نهاية العصور الوسطي في الشرق والغرب، إنقلابات وأحداثًا خطيرة كانت لها تبعاتها، حيث قامت النهضة العلمية والفنية والأدبية وبدأت حركة الكشوف الجغرافية، وشهد العالم الكثير من الأحداث السياسية والأجتماعية والأقتصادية البالغة الأهمية والتي كان لها أثرها في تغيير مجري التاريخ.

وتتمركز الآراء التي دارت حول نهاية الدولة البيزنطية في نظريتين هما :

١- يجعل بعض المؤرخين سنة ١٢٠٤م نهاية للدولة البيزنطية: وذلك عندما إحتل الصليبيون القسطنطينية ، وأسسوا بها إمارة لاتينية استمرت حتى عام ١٢٦١م، حقيقة أنه كان أثناء الإحتلال الصليبى للبلاد إمبراطوريتان في المنفى إحداهما موجودة في نقية في آسيا الصغرى والأخرى في طرابيزون على البحر الأسود، إلا أن القسطنطينية لم يعد من مجدها القديم إلا شبحًا متهالكًا. وبعض المؤرخين "كنورمان بينز Norman H . Baynes" يُنهى عرضه لتاريخ الدولة البيزنطية عند سنة ١٢٠٤ ولا يعترف بها بعد ذلك التاريخ.

٢- يرى بعض المؤرخين أن النهاية الحقيقية للدولة البيزنطية تعود لعام ١٤٥٣م عندما فتح الأتراك العثمانيون بقيادة السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية، وبذلك تم القضاء نهائيًا على الدولة البيزنطية، وبدأ عصر جديد في التاريخ يُعرف بالعصر الحديث [١] .

(١)جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص٢١-٢٣.

✍ مصادر البحث في التاريخ البيزنطي

تشتمل طرائق البحث في التاريخ البيزنطي علي مجموعة متنوعة من المصادر والتى لا غنى عنها للمؤرخ في تأريخ تاريخ الإمبراطورية، مثل المصادر الأدبية التي تضم كتابات المؤرخين المعاصرين، والكتابات الهاجيوجرافية والمصادر القانونية، ولوائح تنظيم الأديرة البيزنطية. وسوف نحاول هنا أن نستعرض أمثلة علي هذه المصادر المهمة.

أولًا المصادر الأدبية:

*بروكوبيوس Procopius :

زخر القرن السادس الميلادي بالعديد من المؤرخين، وكان بروكوبيوس أشهرهم علي الإطلاق، ولد في قيسارية بفلسطين ربما في عام ٥٠٠م، درس القانون بمدرسة بيروت، ثم هاجر إلى القسطنطينية لإستكمال دراسته، اشتغل بالمحاماة وكان ملمًا بالأدب الإغريقي، تم تعيينه مستشارًا للقائد العسكري بلزاريوس عام ٥٢٧م، ترك لنا بروكوبيوس مؤلفاته المكونة من ثلاث مجموعات: تاريخ الحروب، وكتاب المباني، والتاريخ السري. أما عن تاريخ الحروب فقد أمدنا بمعلومات قيمة عن الأحداث الحربية في عصر جستنيان وترجع أهمية مؤلفه أنه كان شاهد عيان على تلك الحروب وتناول في كتاب المباني الحديث عن الهندسة والعمارة، وفي التاريخ السري فقد خرج الكتاب في شكل نقد للإمبراطور جستنيان وزوجته ثيودورا[1].

([1])للمزيد انظر : محمد زايد عبدالله مصادر تاريخ العصور الوسطى : التاريخ البيزنطي،مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠١٥، ص٣٥-٣٧.

*تم الاعتماد على موقع Google Photos في صور المؤرخين والأباطرة البيزنطيين

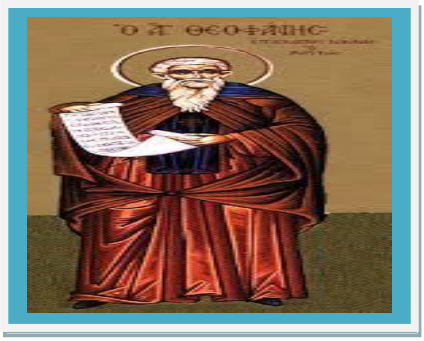

ثيوفانيس Theophanes

من المصادر البيزنطية المهمة ما كتبه الراهب ثيوفانيس من خلال عمله الأدبي التاريخي" تاريخ الأزمنة Chronoghraphia" ولد ثيوفانيس لعائلة أرستقراطية بارزة عام ٧٦٠م، وحظي برعاية الإمبراطور ليو الخامس (٨١٣-٨٢٠م) وتزوج من ميجالو Megalo ابنة أحد رجال الدين البارزين، اشتهر بكتابة حوليته التاريخية" تاريخ الأزمنة " التي وضعها فيما بين عامي ٨١٠-٨١٤م وتغطي السنوات التاريخية منذ عهد دقلديانوس إلى عام ٨١٣م، وكان هدفه من كتابتها هو تثقيف الرهبان، وقد تم ترجمة هذه الحولية من لغتها الأصلية اليونانية إلى اللغة اللاتينية ثم زاد عليها المؤرخيين البيزنطيين بتشجيع من الإمبراطور قسطنطين السابع(٩١٣-٩٥٩م) وقد بلغت هذه الزيادة ستة كتب غطت الفترة من ٨١٣ إلى ٩٦١م وتم تسميتها بالذيل على ثيوفانيس[١].

ميخائيل بسللوس Michael Psellos (١٠١٨-١٠٨١م):

وُلد في القسطنطينية من عائلة متوسطة الحال، وقد حمل الاسم التعميدي قسطنطين، وتلقى تعليما راقيا [٢]، وتعلم الثقافة اليونانية كما درس الفلسفة الأفلاطونية

([1])Khazdan, A.,"Theophanes" , In *The Oxford Dictionary of Byzantium*(Oxford: 1991) ,p. 2063

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق، د حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٢١-٢٢٢.

(2) Kazhdan, A., "Psellos, Michael" , *ODB* , pp. 1754-55.

الحديثة واشتهر كفيلسوف وليس كعالم ديني [١] . وقد بدأ ميخائيل بسللوس حياته الوظيفية سكرتيرًا في البلاط البيزنطي في عهد الإمبراطور ميخائيل الخامس (١٠٤١-١٠٤٢م)، ثم بلغ ذروة حياته العلمية في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر (١٠٥٩-١٠٦٧م)، وابنه ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١-١٠٧٨م) الذي كان ميخائيل بسللوس معلما له [٢]، ويُعد بسللوس رائدًا للحياة الثقافية والفكرية في الامبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وشملت مؤلفاته عددًا من الموضوعات المتنوعة [٣].

ويغطي مؤلف بسللوس "Chronographia " الفترة ما بين ٩٧٦-١٠٧٨م[٤]، أي منذ عهد الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م) إلى عهد الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١-١٠٧٨م) [١].

(1) Moutafakis ,N .J., *Byzantine Philosophy*, Hackett Publishing, 2003, p.129.

(٢) طارق منصور، *قطوف من الفكر البيزنطي*، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩.

(3) Kaldellis, A., *Hellenism in Byzantium: the Transformations of Greek Identity and the Reception of the Classical Tradition*, Cambridge, 2007, p. 191.

(4) Psellos , M., *Choronographia* ,trans . E.R .A. Sewter, Penguin Books ,1966.

نيقفور برينيوس Nicephore Bryennios(١٠٦٢-١١٣٦م) :

قائد عسكري ومؤرخ ، وُلد في ادريانوبوليس **Adrianoples** [٢] لعائلة بارزة [٣] ، و عمل جندياً في خدمة الإمبراطور الكسيوس الأول كومنينوس (١٠٨١-١١١٨م) ، وشارك معه في حملاته العسكرية، ثم تزوج من ابنته آنا كومنينا، ونال لقب قيصر. وقد اشتهر برينيوس بحبه للقراءة والمعرفة، لذلك طلبت منه الإمبراطورة إيرينى ديوكاينا كتابة تاريخ لزوجها الإمبراطور الكسيوس، لكن لم يُقدر لهذا العمل أن يُنجز بسبب وفاة برينيوس [٤]. ويغطى تاريخ نيقفور برينيوس الفترة من ١٠٧٠-١٠٧٩م [٥].

---

(1) Louth , A., *Greek East and Latin West: the church, AD 681-1071* , St. Vladimir's Seminary Press, 2007, p. 334.

(٢) تقع مدينة ادريانوبوليس شرق تراقيا ، الواقعة شمال غرب القسطنطينية.

George ,T.& sevicenko, P. N.," Adrianople" ,*ODB*, p.23.

(3)Neville ,L., "Bryennios ,Nicephoros" in: *The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare and Military Technology*, ed. .C. Rogers, Oxford, 2010, p.262.; Wittek S. &Jongh ,de., "Le Cesar Nicephore Bryennios, I'historien, et ses ascendants", *B* 23 (1953),pp.463-468.

(٤) طارق منصور، *قطوف من الفكر البيزنطي*، ص ٢١.

(5) Bryennios, N., *Nicephore Bryennios Histoire*, Trans .P. Gautier , *CFHB* 9, 1975.

آنا كومنينا Anna Komnena(١٠٨٣-١١٥٣م):

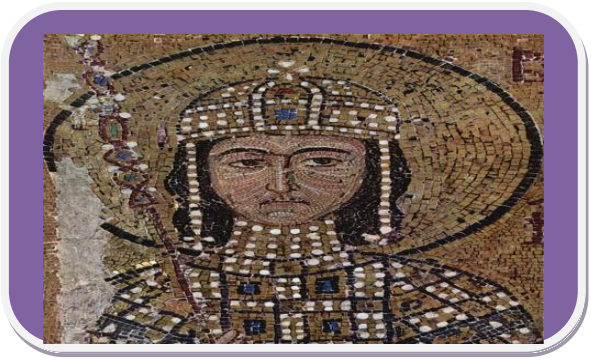

هـي ابنـة الإمبراطـور الكسـيوس كومنينـوس، كتبـت مؤلفًـا عـن حيـاة أبيهـا وأسـمته الإلكسياد Alexiad نسبة إليه، ويعكس هذا الكتاب مدى التقدم الفكري والعقلي الذي كانت عليه الأميرة آنا، ومقدار الثقافة التي تحصلت عليها، كأميرة وُلدت ونشأت في الأرجوان الإمبراطوري. ويُعد كتاب الإلكسياد واحدًا من المصادر البيزنطية المهمة في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو يغطى الفترة من ١٠٦٩م وحتى وفاة الإمبراطور الكسيوس عام ١١١٨م [١] .

والجدير بالذكر أن كتاب الإلكسياد تُرجم من اليونانية إلى الإنجليزية في ترجمتي سويتر **Sewter** و داويس **Dawes** ، ثم ترجمه الأستاذ الدكتور حسن حبشي إلى اللغة العربية [٢].

يوحنا زوناراس John Zonaras :

مؤرخ وعالم دين ومسئول كبير في بلاط الإمبراطور الكسيوس كومنينوس، إلا أن مقاديره تبدلت بعد وفاة الكسيوس عام ١١١٨م ، فصار راهبًا في دير جليكيريا St.

(1)Howard-Johnson , J. "Anna Komnene and the Alexiad" in : *Alexios I Komnenos*, ed .M. Mullet & D. Smythe , Belfast, 1996, pp. 260-302.esp.262.
(2)Comnene ,A ., *The Alexiad* ,Trans . E.A.S. Dawes , London,1967.

Glykeria . و يعتبر زوناراس أحد أشهر كتاب الحوليات في الإمبراطورية البيزنطية [١]، ووضع كتابًا أسماه "موجز التواريخ Epitome Historiarum " ، بدأ فيه الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى عام ١١١٨م[٢]، وقد اعتمد زوناراس على مجموعة كبيرة من المصادر، مما جعل مؤلفه مؤلفًا فريدا من نوعه . وهو من بين المصادر التي اعتمد عليها مؤلف الإلكسياد للمؤرخة آنا كومنينا، وحولية بسللوس.

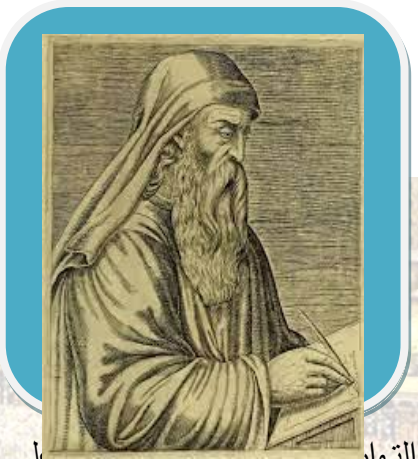

وأهم ما يميز "موجز التواريخ" لزوناراس أنه يحتوي على معجم للمفردات اليونانية النادرة، التي ربما لم تعد مستخدمة في عصره [٣] .

يوحنا كيناموس John Kinnamos (١٠٤٤-١٢٠٣م):

مؤرخ عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان مقربًا من الإمبراطور مانويل كومنينوس (١١٤٣-١١٨٠م)[٤]، وعمل سكرتيرًا له، ونال حظوته، وشارك معه في

(1)Kazhdan ,A ., "Zonaras, John" , *ODB*, p. 2229.

(2)Zonaras, J., *Epitome Historiarum, ed. T. Büttner-Wobst, vol. 3, CSHB.* Bonn1897;Zonaras , J., *The History of Zonaras: From Alexander Severus to the Death of Theodosius the Great* , Trans . Th. Banchich& E. Lane, Taylor & Francis, 2009, p.1.

(3)Kazhdan , "Zonaras, John", p. 2229.

طارق منصور، قطوف، ص ٢١.

(4)Galatariotou , C., *The Making of a Saint: The Life, Times and Sanctification of Neophytos the Recluse*, Cambridge University Press, 2004, p. 169.

العديد من الحملات العسكرية، كما شارك في المناقشات اللاهوتية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس كومنينوس (١١٨٣-١١٨٥م)[١] . وقد وضع كيناموس مؤلفه" موجز للتاريخ "وخصصه للحديث عن عصر أثنين من الأباطرة بدأه بعهد الإمبراطور يوحنا كومنينوس مرورًا بعهد ابنه الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس [٢]، ومما يزيد هذا المصدر أهمية أنه يعكس مكانة كاتبه الذي كان يحتل مكانة بارزة في البلاط البيزنطي، تلك المكانة التي أهلته للإطلاع على الوثائق الرسمية، ويعتبر كتاب يوحنا كيناموس المصدر الأول لمعظم أحداث القرن الثاني عشر الميلادي في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية [٣].

نيقيتاس خونياتس Nicetas Choniates(١١٥٠-١٢١٥م) :

ينتمي إلى واحدة من العائلات النبيلة ، ولُقب بنيقتاس الخونياتى نسبة إلى مدينة خوناي Chonai [٤] مسقط رأسه [٥]، ونال حظوة كبيرة في البلاط البيزنطي. وقد تلقى تعليماً راقياً في القسطنطينية، ثم دخل الخدمة المدنية، وعمل سكرتيرًا في عهد الأباطرة الكسيوس الثاني(١١٨٠-١١٨٣م) وإسحاق الثاني أنجليوس(١١٨٥-١١٩٥م) . وفي عام ١١٨٩م عُين حاكمًا لإقليم فيليبوبوليس Philippopolis في تراقيا، لكنه فقد كل شيء بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م، ولم يجد ملاذا إلا في نيقية

(1)Kazhdan ,A., "Kinnamos, John", *ODB*. p. 1130.

(2)Kinnamos, J., *Deeds of John and Manuel Comnenus* , Trans .Ch. M. Brand ,New York , 1976.

(٣) طارق منصور، *قطوف*، ص ٢٢.

(4) مدينة هوناز Honaz حاليًا ، الواقعة شمال غرب تركيا.

Clive F. W. Foss, "Chonai" ,*ODB* , p.427.

(5)Ostrogorsky ,G., *History of The Byzantine State* , Rutgers University Press, 1986, p.312.

مع الإمبراطور ثيودور الأول لاسكارس"Theodore I Laskaris" [1](١٢٠٥-١٢٢١م)[2].

وقد ترك لنا المؤرخ نيقيتاس الخونياتى عملاً تاريخيا تناول فيه أحداث القرن الثاني عشر الميلادي بدءًا من عهد يوحنا كومنينوس مرورًا بعهد الإمبراطور مانويل كومنينوس، والذي أورده بشيء من التفصيل، وحتى استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م [3] . ويُعد تاريخ نيقيتاس من أهم المصادر خلال القرن الثاني عشر الميلادي نظراً لكون مؤلفه شاهد عيان على معظم الأحداث التي ذكرها، باستثناء الأجزاء الأولى منه، والتي كانت قريبة من عهده، فضلاً عن مكانته البارزة في البلاط الإمبراطوري، والتي أهلته للاتصال الوثيق بمجريات أحداث القصر الإمبراطوري خلال تلك الفترة.

---

(١) وُلد عام ١١٧٤م ،وتوفي في نقية ١٢٢١م ، تزوج من آنا ابنة الإمبراطور إليكسيوس الثالث أنجليوس Alexios IIIAngelos(١١٩٥-١٢٠٣) ، وعندما تمت الإطاحة بالإمبراطور ، فر بزوجته إلى نيقية ، وأرسي فيها قواعد إمبراطوريته.

Angold, M.," Theodore I Laskaris" ,*ODB* , pp.2039-40.

(٢) دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(3)Choniates ,N., *O City of Byzantium : Annals of Niketas Choniates*, Trans . H.Magoulias,Detroit,1984.

قسطنطين ماناسيس Constantine Manasses(١١٨٧م) :

عمل موظفًا حكوميًا، و دون مدونة تاريخية عن تاريخ العالم، بدءها منذ بدء الخليقة [١]، كما كتب مجموعة من الخطابات والأحاديث والروايات النثرية المطولة عن البعثة الدبلوماسية التي اضطلع بها في أنطاكية، والقدس، وقبرص [٢].

ثانياً الكتابات الهاجيوجرافية:

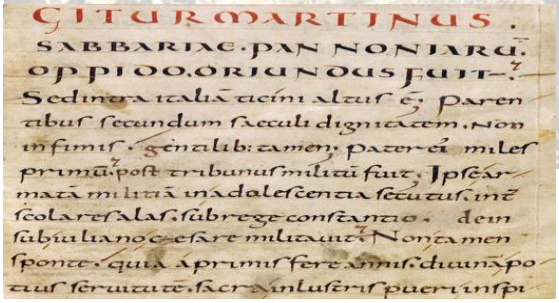

الهاجيوجرافيا Hagiographys كلمة يونانية قديمة، تتكون من مقطعين "Αγιος Hagios" التي تعني المقدس و"Γραφικός Graphys " بمعني الكتابات، والكلمة في أبسط معانيها تعني كتابات سير القديسين، وهي تشتمل على

(1) Constantine Manasses, "Das Hodoiporikon des Konstantin Manasses", ed. K. Horna, *BZ* 13 (1904), pp. 330-1.

(٢) طارق منصور، قطوف، ص ٢٤.

مجموعة واسعة من الأدب المتعلق بتلك السير، بما في ذلك السير الذاتية للقديسين، والأساطير، والمعجزات، والرؤي، والرفات المقدس، والتحقيقات الدينية الكنسية، ورغم اتساع مجالاته الأدبية، إلا أنه لا يزال يهتم بشكل أساسي بسير القديسين، تُعد كتابات سير القديسين أحد أهم المصادر غير التقليدية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية إذ أنها نوع من القصص الديني الشعبي كتبه رهبان ورجال دين بيزنطيون، وهي تشتمل على مجموعة واسعة من الأدب المتعلق بتلك السير، بما في ذلك السير الذاتية للقديسين، والأساطير، والمعجزات، والرؤي، والرفات المقدس، والتحقيقات الدينية الكنسية، ورغم اتساع مجالاته الأدبية إلي أنه لا يزال يهتم بشكل أساسي بسير القديسين، وتكمن قيمته في أنه أشبه بأدب السير الشعبية الذي وإن إمتلأ بالمعجزات والخوارق، يقدم عبر صفحاته مادة وفيرة وفريدة من نوعها عن الحياة اليومية للمجتمع البيزنطي، والأهم أنه يعكس ثقافة هذا المجتمع والأفكار والآراء والاتجاهات التقليدية الشعبية السائدة فيه[1].

ثالثاً: المصادر القانونية:

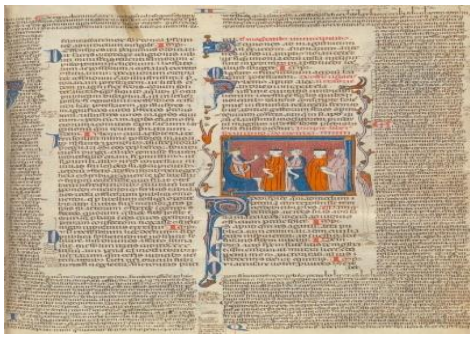

([1])للمزيد أنظر: مصطفي محمود محمد ، الكتابات الهاجيوجرافية مصدرًا لدراسة التاريخ الاقتصادي للإمبراطورية البيزنطية: دراسة في ضوء هاجيوجرافية العصر البيزنطي الأوسط، حولية وقائع تاريخية، جامعة القاهرة ، عدد يناير ٢٠٢١م ، ص٣٦٠-٤٢٩.

ويمكن تقسيمها إلى:

أ. القانون المدني والذي يشتمل على:

١- قوانين ثيودسيوس الثاني٢- قوانين جستنيان ٣- قوانين الأسرة الإيسورية ٤- قوانين الأسرة المقدونية ٥- قوانين أسرة كومنينوس.

ب. القانون الكنسي: ويشتمل على مجموعة القوانين الكنسية[١].

رابعاً لوائح تنظيم الأديرة (التيبيكا Typikon):

هي وثائق تُعبر عن القواعد واللوائح المنظمة للأديرة البيزنطية، وهي تحتوي على معلومات قيمة حول موضوعات مختلفة، كعلاقة الرهبان في الأديرة بالأباطرة والنبلاء الأرستقراطيين، والمؤسسات الخيرية التابعة للدير، وملكية الدير للأراضي والحيوانات والمباني، وأيضًا الطقوس الرهبانية، وطعام الرهبان وشرابهم، وأنواع الإضاءة والملابس والأحذية ومواقيت الصيام والاحتفالات بالأعياد[٢].

(١)للمزيد انظر : محمد زايد عبدالله، مصادر تاريخ العصور الوسطى ص١٨٣-٢٠٣.

(٢)محمد زايد عبدالله ، التيبيكا البيزنطية وثائق تنظيمات الاديرة مصدرا لدراسة الطب و الصحة العامة في الدولة البيزنطية، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، ع ١، 2011، ص ٢٢٣-٢٥٨.

تدريبات على الفصل الأول

السؤال الأول : بم تفسر ذلك:

١- يرى بعض المؤرخين أن عام ٧١٧م هو البداية الحقيقية للدولة البيزنطية.

٢- أُطلق علي الإمبراطورية البيزنطية دولة الروم.

السؤال الثاني: اكمل الفراغات بوضع الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- كانت الإمبراطورية البيزنطية تدين بالمذهب.....

٢- تحدث البيزنطيون باللغة .....

السؤال الثالث: قم بقراءة العبارات الآتية جيداً ثم اختر علامة (T) وظللها في ورقة إجابتك إذا كانت العبارة صحيحة وعلامة (F) وظللها إذا كانت العبارة

١- سقطت الإمبراطورية الرومانية عام ٤٦٧ ق.م على يد البرابرة الجرمان

٢- يرجع أصل تسيمة الإمبراطورية البيزنطية إلي القائد اليوناني بيزاريوس

السؤال الرابع: قم بقراءة العبارات الآتية وبدائل إجابات كل منها جيداً ثم ظلل الإجابة الصحيحة فقط في ورقة إجابتك

١- أطلق على الإمبراطورية البيزنطية.....

(أ.الإمبراطورية الرومانية الشرقية- ب.دولة الروم- ج.القسطنطينية- د.جميع ما سبق)

٢- سقطت القسطنطينية في يد العناصر اللاتينية عام....

(أ.١٢٠٤م-ب ١٤٠٢م-ج. ١٤٥٣م-١٣٥٤م)

الفصل الثاني
عصر الإمبراطور دقلديانوس وقسطنطين

✍ **الإمبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م)**

٤- إصلاحاته في المجال الإداري.

٥- اضطهاد المسيحيين.

✍ **الإمبراطور قسطنطين (٣٠٥-٣٣٧م)**

١-مرسوم ميلان٣١٣م.

٦- بناء القسطنطينية٣٣٠م

أهداف الفصل الثاني

يهدف هذا الفصل إلى:

١- التعرف على الأحداث التاريخية المهمة التي شهدها عصر الإمبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م)، وإصلاحاته في المجال الإداري.

٢- الأسباب التي دفعت الأباطرة الرومان لإضطهاد المسيحيين.

٣- سياسة التسامح التي اتبعها الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) مع المسيحيين والتي تمثلت في إصدار مرسوم ميلان عام ٣١٣م Edict of Milan .

٤- التعرف على الاسباب التي دفعت قسطنطين لبناء العاصمة الجديدة " القسطنطينية" وتدشينها عام ٣٣٠م

أزمة القرن الثالث الميلادي:

في القرن الثالث الميلادي عمت الفوضى الشاملة أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ولم يعد الإنسان أمنًا على حياته أو معيشته، وتفشت الأوبئة والأمراض، وصار حدوث المجاعات أمرًا مألوفًا، وتكررت غزوات الجرمان والبرابرة على الحدود، ناهبة المدن والقري، وبعد أن كان الأهالي ينعمون بالحياة الهادئة وينحصر جل تفكيرهم في الحصول على الكماليات والسلع الترفيهية، صاروا عاجزين عن الوقوف أمام الخطر الجرماني، ولم يعد بوسعهم أن يفعلوا شيئًا سوى تقوية تحصيناتهم داخل مدنهم، تاركين ضواحيها فريسة للسلب والضياع، فنُهبت المزارع وأتُلفت المحاصيل وتُركت مساحات هائلة من الأراضي الزراعية الخصبة بورًا، وكان من الطبيعي أن تمتد يد الفوضى والخراب إلى الصناعة والتجارة، فانهارت تقاليدهما ونظمهما [1].

(1)محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٥، ص٣٢-٣٣.

وكان من الطبيعي أن تتأثر الصناعة والتجارة بكل هذه الظروف العصيبة، فاختل نظام العمل، وكان الإنتاج في اضمحلال، وقضى إنعدام الطمأنينة في البحر والبر على التجارة، ولم يكن في استطاعة الصناعة أن تزدهر لأن سوق المنتجات الصناعية كانت في انكماش مطرد، وكانت قدرة الأهالي على الشراء في انخفاض، كذلك انخفضت قيمة العملة بسرعة لا مثيل لها، وفي وسط تلك الفوضى الضاربة بجذورها في أعماق الإمبراطورية بدت الإمبراطورية في حاجة ملحة إلى أباطرة يستطيعون إنتشالها من وهدتها، وفي ظل هذه الظروف العصيبة برز القائد دقلديانوس[1].

الإمبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م)

ولد ديوقليس " ديوقلديانوس" في عام ٢٤٥ م في مدينة سالونا salona بولاية دالماشيا بإقليم ايليريا المطل على البحر الأدرياتيك شرق ايطاليا، و كان أبواه فقيرين، ربما كان أبوه يشغل وظيفة صغيرة كغيره من طبقة المُعتقين، ولكن ذلك لم يعق الإبن الطموح عن التدرج في الوظائف العسكرية، حيث انضم إلى قوة الفرسان تحت قيادة

(١)م.رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية" الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سل، يم الجزء الأول، ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة١٩٥٧، ص٦٠٤.

جاللينوس، ووصل إلى رتبة دوقdux " أي قائد الفرسان في ولاية ميسيا ثم أصبح قائدًا لقوات الحرس الإمبراطوري الخاص، وهى من الوظائف المهمة، و تجلت كفاءته العسكرية في حرب فارس، وبعد موت الامبراطور نوريانوس٢٨٣ – ٢٨٤ م، أعُترف به بأنه أجدر شخص بعرش الامبراطورية[١]. انظر شكل (١)

وجد الإمبراطور دقلديانوس أن الإمبراطورية تواجه مشاكل خطيرة ونظرًا لاتساع رقعتها وسوء إدارتها فوجه جهوده نحو تحقيق ثلاث أهداف كبرى وهي:١- تقوية نفوذ الحاكم أو الإمبراطور ٢-إعادة تنظيم الجهاز الحكومي ٣-تجديد نظام الجيش. ولتحقيق ذلك بدأ في إقرار الامن والنظام في مختلف الولايات، وتصدى للبرابرة، وهاجم الفرس، واسترد منهم بلاد ما وراء النهرين، الأمر الذي أعاد إلى حد كبير هيبة ومكانة الإمبراطورية الرومانية[٢].

إصلاحاته:

أولاً في المجال الإداري:

في حقيقة الأمر كانت الخدمات الحقيقية التي أداها دقلديانوس للإمبراطورية والتي تركت أثرًا بالغًا في أحوالها، لم تكن في ميدان الحرب بقدر ما كانت في ميدان الإصلاح الإداري، ذلك أنه أعاد تنظيم الجهاز الإداري في صورة حرمت إيطاليا مما كان لها في العصور القديمة من مكانة متميزة، وتظهر ملامح إصلاحاته في الجهاز الإداري كالآتي:

([١])سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية "السياسي والحضاري"، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة١٩٩١، ص٣٩٩.; محمود سعيد عمران، معالم التاريخ الإسلامي والوسيط، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٣٠.

([٢]) سعيد عبدالفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦، ص١٩

١-نقل العاصمة:

أدرك دقلديانوس أن المركز الحقيقي لقوة العالم الروماني لم يعد في الغرب وإنما أصبح في الشرق، حيث امتازت الولايات الشرقية بوفرة الخيرات، وكثرة السكان، ومهارة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة، لذلك مهد دقلديانوس لما فعله قسطنطين فيما بعد فاتخذ عاصمة جديدة للإمبراطورية في الشرق، وهي مدينة نيقوميديا في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة، هذا فضلًا عما تطلبته الإعتبارات العسكرية من نقل عاصمة ايطاليا من روما إلى ميلان لسهولة إنتقال الجيوش منها إلى غاليا أو المانيا لصد هجوم أو إخماد فتنة[١].

٢- تقسيم السلطة :

ترتب علي نقل العاصمة أن شعر دقلديانوس أنه لم يعد في وسع إمبراطور واحد أن يتخذ بمفرده القرارات وأن يصدر الأوامر بالنسبة لمثل هذه الرقعة المترامية من الأراضي، ومن ثم ينبغي أن يكون له شريك ومعاونون، وعلي ذلك فقد دعا ماركوس اوريليوس ماكسميانوس للاشتراك معه في حكم النصف الغربي من الامبراطورية، وإن كان المؤكد أن مركز دقلديانوس بشخصيته القوية كان سيفوق مركز شريكه، وكان غرضه من ذلك التسهيلات الإدارية فقط[٢].

٣- زيادة عدد الولايات:

عمل دقلديانوس على زيادة عدد الولايات مما أدى إلى تقليل عدد القوات التي تخضع للقائد الواحد، وهو ما جعل أمر تمرد القادة ضعيفا وصعب، حيث أنه أدرك

([١]) محمد حمزة& لبني رياض، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، الطبعة الأولي، دار غيداء، عمان٢٠١٥،ص٤٧

([٢]) تشارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣، ص١٩٦ .

الخطر الناجم عن تضاعف عدد الولايات الرومانية، لما ترتب عليه من ظهور قيادات إنفصالية، ففكر في ربط الولايات الرومانية ببعضها، فقسم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم يمكن أن نُطلق عليها مصطلح أقسام إدارية كبرى ووضع على رأس كل قسم منها حاكم إداري عام يتمتع بلقب إما اغسطس أو لقب قيصر، وكان من الناحية العلمية شريكًا للإمبراطور في حكم الامبراطورية وما شملته من أقاليم[١].

والأقاليم الأربعة هي: إيطاليا وعاصمتها ميلان، والثانية غالة وعاصمتها تريف والثالثة إليريا وعاصمتها سرميوم أما الرابعة فهي الجانب الشرقي من الإمبراطورية وعاصمتها نيقوميديا وهو ما عرف بنظام الحكم الرباعي والذي قسم علي أثره الامبراطورية إلى اثنتي عشرة ولاية تضم ستًا وتسعين مقاطعة، ولكل من هذه الأقسام وتوابعها حكامها وأجهزتها وجيوشها. وكان النظام الرباعي يقضي بأنه عندما يعتزل الإمبراطور الحكم يخلفه القيصر، أما الجيش فكانت قواه موزعة بين شركاء الإمبراطورية الأربعة، ورغم كل هذه الاحتياطات تفككت الوحدة السياسية في العالم الروماني شيئا فشيئًا، وساد مبدأ التقسيم في الامبراطورية، بالإضافة، تكاليفة الباهظة مما أدى إلى زيادة الضرائب[٢].

وعلى أية حال فإن تجربة دقلديانوس لم تلق النجاح، حيث أُبتليت الإمبراطورية بعدة نكبات، منها هجمات البرابرة والحروب الأهلية وتفشي الطاعون ونقص عدد السكان وضعف التجارة والصناعة، وترتب على ذلك أيضًا زيادة

([1]) أحمد غانم، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية٢٠٠٧، ص٨٤.

([٢])(محمود سعيد عمران، حضارة الإمبراطورية البيزنطية،ص٢٠-٢١.

Corcoran**, S.,** 'Before Constantine', in N. Lenski (ed.), The Cambridge Companion to the Age of Constantine (Cambridge, 2006),pp.35-58,esp.45-46.

الأسعار، مما دفع دقلديانوس إلي إصدار القرارت الخاصة بتحديد الأسعار والأجور[١].

اضطهاد المسيحيين:

وجاء الانقلاب الحقيقي من قِبل الإمبراطورية الرومانية على المسيحية عندما عجزت عن إيجاد حلول للمشكلات التي واجهتها خاصة في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد من تدهور للأوضاع الاقتصادية والسياسية. وكان ذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي رأى في المؤسسات المسيحية الجديدة عائقا أمام جهوده الإصلاحية ومساعيه لتوحيد الإمبراطورية وتقويتها. وبالفعل كانت حركة الأضهاد المنظمة من جانب دقلديانوس ضد المسيحيين التي عارضها بشدة[٢]، حتي أنه صادر أملاك الكنائس ومنع المسيحيين من إقامة شعائرهم، وبسبب قسوة دقلديانوس مع المسييحين أُطلق علي عهده "عصر الشهداء" نظرًا لكثرة الشهداء الذين قُتلوا دفاعًا وتمسكًا بعقيدتهم ورفضهم العودة للوثنية القديمة [٣]. انظر شكل(٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هو السبب الرئيس الذي دفع الأباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين ؟

الإجابة عن هذا السؤال تكمن في عدة نقاط أهمها:

١- رفض المسيحيين مشاركة الرومان في ممارسة شعائر الديانة الرسمية للدولة، كما رفضوا عبادة الإمبراطور وتأليهه وتقديس صوره وتقديم القرابين لتمثاله، وحرق البخور

(١) محمود سعيد عمران، حضارة الإمبراطورية البيزنطية،ص٢٠

(٢) فتحي عبدالعزيز، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي الجزء الأول، انظر الفصل الأول.

(٣)(محمود سعيد عمران، حضارة الإمبراطورية البيزنطية،ص٢١.

Gaddis, Michael *There Is No Crime for Those Who Have Christ: Religious Violence in the Christian Roman Empire*. Berkeley, Los Angeles, and London: University of California Press(2005),p.29

أمامه في المناسبات العامة، وذلك لأنه يتنافى مع ما تدعو إليه المسيحية من عبادة الرب، لذلك أدرك الأباطرة الرومان أن المسيحية خطر يتهددهم شخصيًا.

٢-العُزلة التي فرضها المسيحيون علي أنفسهم، إذ اعتزلوا المجتمع الروماني وأنشطته المختلفة، فلم يشتركوا في حفلاتهم ولا ندواتهم العامة، بل أغلقوا على أنفسهم، واعتبر الوثنيون إعتزال المسيحيين هو بمثابة هروب من الواجبات المدينة، لذلك اعتبرتهم السلطات الرومانية خارجين عن النظام العام للمجتمع الروماني.

٣- أثار تجمع المسيحيين وخلواتهم لممارسة شعائرهم الدينية، الشك في نفوس السلطات الحاكمة والتي اعتبرتهم جمعيات سرية تدعو ضد الإمبراطور، وتشكل خطرًا على أمن الإمبراطورية وسلامتها.

٤- تحريض اليهود الدائم ضد المسيحية، خاصة أن شطرًا كبيرًا من اليهود كان ذا ثقافة إغريقية يونانية رفيعة، خاصة يهود الإسكندرية الذين كرهوا المسيحية واعتبروها أكبر عدو للوثنية الإغريقية ذات الأصول الفلسفية المرتبطة بالثقافة الإغريقية.

٥- رفض المسيحيون في باديء الأمر الاشتراك في الخدمة العسكرية للدفاع عن الإمبراطورية، واعتبروا أنهم بآدائهم العمل العسكري إنما ينخرطون في العبادة الوثنية[١].

وفي مايو ٣٠٥م تنحى دقلديانوس عن العرش عن عرش الإمبراطورية، بعد أن بلغ الستين من عمره، واستبد به المرض، وباعتزال دقلديانوس قامت حرب أهلية،

(١) للمزيد عن اسباب الاضطهاد الروماني، انظر: ليلي عبدالجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية-القبطية-، دار الثقافة العربية، القاهرة٢٠٠٧، ص٣٧-٣٨.

ونشب صراع حول العرش ومن خلال هذا الصراع برزت شخصية الإمبراطور القادم قسطنطين.

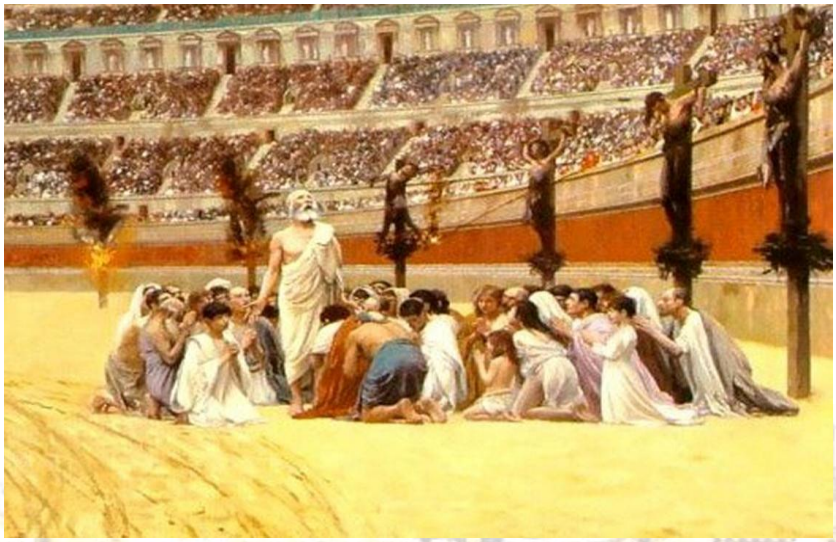

شكل [1].

الإمبراطور قسطنطين الكبير(٣٠٥-٣٣٧م)

([1]) لوحة بعنوان" الصلاة الأخيرة للشهداء المسيحيين، تنسب للفنان والنحات الفرنسي جان ليون جيروم Jean-Léon Gérôme(١٨٢٤-١٩٠٤م)، حدد جيروم المكان على أنه مضمار سباق روما القديم ، سيرك ماكسيموس. وأشار إلى تفاصيل مثل أعمدة المرمى ومسارات العربة في التراب. ومع ذلك ، فإن المقاعد تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في الكولوسيوم ، مدرج روما ، حيث أقيمت معارك المصارعين وغيرها من النظارات. وبالمثل ، فإن التل الموجود في الخلفية يعلوه تمثال ضخم ومعبد أقرب في المظهر إلى الأكروبوليس الأثيني منه إلى تل بالاتين في روما. وتدل اللوحة على الثبات الديني للضحايا الذين كانوا على وشك الاستشهاد إما بالتهامهم من قبل الوحوش أو وإشعال النيران فيهم.
Sandra S. Silver, Footprints in Parchment: Rome Versus Christianity 30-313 Ad(2013),p.541

ولد قسطنطين في مدينة نيش- يوغسلافيا حاليًا- عام ٢٨٠م ونشأ وتربي في مدينة نيقوميديا- التي اتخذها دقلديانوس مقرًا له- وعندما بلغ الخامسة عشر من عمره التحق بالجيش وأظهر مهارة فائقة في ميادين القتال، وعندما قامت الحرب الأهلية على أثر وفاة دقلديانوس كان قسطنطين أحد المشتركين فيها واستطاع أن يتغلب على خصومه الواحد تلو الأخر حتى انفرد بحكم الإمبراطورية، ويرجح المؤرخين بداية تاريخ الدولة البيزنطية من عهد الإمبراطور قسطنطين حيث يعتبرونه أول إمبراطور لها، بسبب الأحداث المهمة التي شهدها عصره وأهما:

١- الاعتراف بالمسيحية

مرسوم ميلان ٣١٣م Edict of Milan

عندما اعتلى قسطنطين العرش البيزنطي كانت الديانة المسيحية قد انتشرت في كافة أرجاء الإمبراطورية وأصبحت أمرًا واقعيًا ملموسًا، حاول الاباطرة السابقين القضاء عليها، إلا أنهم فشلوا جمعيًا في ذلك الأمر، فكان على قسطنطين أن يواجه المشاكل المتراكمة التي أصابت الإمبراطورية، وحاول سلفه دقلديانوس جاهدًا معالجتها قبله، ومن أبرزها الموقف تجاه المسيحية والذي أثرت عليه عدة عوامل من أبرزها: عدم فاعلية الاضطهادات السابقة تجاه المسيحيين، حيث رأى قسطنطين أن الاضطاد الأعظم في عهد دقلديانوس، لم يؤدِ إلى نتيجة حاسمة. كما أن المسيحيين كانوا يمثلون ثقلًا مهمًا في الجزء الشرقي من الإمبراطورية وعليه عمل على حل هذه المشكلة الكبيرة من أجل أمن واستقرار الإمبراطورية الرومانية[١].

(١) إبراهيم خميس، وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي(السياسي والحضاري)، دار المعرفة ،الأسكندرية ٢٠٠٣، ص٤٥-٤٦

بعد انتصار قسطنطين على منافسيه في موقعة جسر مليفيان ٣١٢م أعلن الإمبراطور مرسوم ميلان الشهير والذي أعاد السلام والهدوء للكنيسة المسيحية، وواقع الأمر أن قسطنطين لم ينفرد بإصدار هذا المرسوم، بل شاركه في مسئوليته شريكه في الحكم لسينيوس، وقد اسُتقبل هذا المرسوم علي إنه قانون أساسي من قوانين العالم الروماني.

ونص هذا المرسوم كالآتي :

" عندما تقابلنا نحن قسطنطين أوغسطس ولسينيوس أغسطس في ميلان مكللين بالرعاية والعناية، أخذنا نبحث في جميع الوسائل الخاصة بالصالح العام لرعايانا. ومن أهم هذه المسائل التي تهم الكثيرين وتعود بالنفع عليهم مسألة حرية العقيدة. لذلك قررنا إصدار مرسوم يضمن للمسيحيين وكافة الطوائف الأخرى حرية اختيار وممارسة القيدة التي يرتضونها"[١].

والشيء الملاحظ هنا أن مرسوم ميلان لم يعترف صراحة بالديانة المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية، ولكنه اعترف بحرية الاعتقاد، وهو ما يُعد في حد ذاته انتصارًا للمسيحية والمسيحيين بعد سنوات من الاضطهاد ضدهم، حيث أتاح لهم هذا المرسوم ممارسة عقيدتهم وشعائرهم علنًا دون الخوف من بطش السلطات الرومانية. ويرى عدد من المؤرخين أن مرسوم ميلان كان بمثابة تحالف مع الرب المسيحي، والذي اعتبره قسطنطين الإله القوي فعمل على إرضائه خشية عقابة[٢]،

(١) محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ص٢٥.

(2)Sordi, Marta. *The Christians and the Roman Empire.* Norman: (University of Oklahoma Press:1994) p134

ومع ذلك، يعتقد غالبية المؤرخين أن تحول قسطنطين إلى المسيحية كان حقيقيًا، وأن مرسوم ميلان كان مجرد أول عمل رسمي لقسطنطين كمسيحي مخلص[١].

تأسيس مدينة القسطنطينية

نتيجة للغارات الجرمانية على حدود الإمبراطورية الرومانية وتهديد عاصمتها روما، سعى الإمبراطور قسطنطين إلى البحث عن مقر أخر جديد للعاصمة يكون في موضع أكثر صلاحية من الناحيتين الإدارية والحربية، ويُعد موضع القسطنطنية هو الموضع الأخير الذي اختاره قسطنطين، حيث كانت قد طرأت عدة أماكن على ذهنه لتكون مقر حكمه الجديد، ومنها مسقط رأسه نيش ومدينة سرديكا ومدينة نيقوميديا، ولما كان قسطنطين يفضل منطقة الحدود بين آوروبا واسيا ليتمكن من ضرب البرابرة الذين يسكنون في الدانوب، ويراقب بعين ساهرة تحركات الفرس، فقد كانت افضل مقر هو نيقوميديا ليكون عاصمة، ولكن قسطنطين استبعدها من حساباته لأنها كانت مقر الإمبراطور دقلديانوس وبالتالي لها ذكريات سيئة مع رعايا الإمبراطورية من المسيحيين، لذلك اتجهت انظاره إلي مدينة "بيزنتيوم Byzantium" تلك المستعمرة اليونانية التي تأسست عام ٦٥٧ق.م[٢].

وربما يكون الموقع الجغرافي المتميز لقسطنطينية هو السبب الرئيس الذي دفع قسطنطين لاختيارها عاصمة، حيث أنها تقع على نقطة التقاء قارتين آسيا وأوروبا، كما أنها شبه جزيرة تحيطها المياه من ثلاث جهات حيث يحدها القرن الذهبي من

(1)Maier, Paul L. *Eusebius: The Church History*, (Grand Rapids: Kegel Publications, 1999),p. 374

(٢) محمود سعيد عمران، حضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٠.

الشمال، بينما يحدها مضيق البسفور وبحر مرمرة من الشرق والجنوب مما وفر لها حماية طبيعية لسهولة الدفاع عنها[١]. انظر شكل(٤) موقع القسطنطينية علي الخريطة.

شكل(٤) مدينة القسطنطينية

ووقع اختبار قسطنطين على بيزنطة صاحبة الطبيعة الجذابة والصالحة بشكل كبير لإقامة الحصون والقلاع، وبناء السفن، والأساطيل، وقصد الإمبراطور أن تصبح المدينة الجديدة مسيحية لاتينية، وأنفق على المدينة الجديدة بسخاء لبناء الأسوار والأروقة والقناطر،

(1)*Harris, Jonathan Byzantium and the Crusades. (Bloomsbury, 2nd edition, 2017), p.43*

وعمل جمع غفير من العمال والصناع في إقامتها وبنائها الذي استمر من عام ٣٢٤م إلى ٣٣٠م، ولما حان موعد الاحتفال بذكرى تأسيس المدينة في ٣٣٠م، وضع على عربة من عربات القصر تمثال قسطنطين الذي صُنع بأمر منه من الخشب المطعم بالذهب وتحركت مواكب الحرس حاملة للشموع المضاءة مرتدية أثمن الثياب، وفي اليوم نفسه نقُش على عمود من الرخام مرسوم إمبراطوري لتسمية المدينة بإسم " روما الجديدة" ولكن غلب على المدينة اسم مؤسسها قسطنطين فأصبحت حامله لإسمه عبر التاريخ[١].

وبعد بناء المدينة ، بُنيت القصور والدور ، والمحاكم والحمامات العامة في سرعة خارقة، وأمعن الإمبراطور في البحث عن بدائع العمارة والفن بأرجاء الإمبراطورية، فأصبحت فتنة للناظرين والسامعين، بما اشتملت عليه من تذكارات المجد الروماني في القرون الخالية[٢].

(١) ه.أ.ل.فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطي، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٠، ص١٠

(٢) ه.أ.ل.فشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطي، ص١١

تدريبات على الفصل الثاني

السؤال الأول: اكتب مذكرات تاريخية مختصرة عن :

١- الإصلاحات الإدارية للإمبراطور دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م)

٢- مرسوم ميلان ٣١٣م

السؤال الثاني: قم بقراءة العبارات الآتية وبدائل إجابات كل منها جيداً ثم ظلل الإجابة الصحيحة فقط في ورقة إجابتك

١- تم تدشين مدينة القسطنينة بعد ..... سنة من صدور مرسوم ميلان

(أ.١٦ سنة- ب.١٧ سنة- ج.١٨ سنة- د.١٩ سنة)

٢- مسقط رأس الإمبراطور قسطنطين مدينة ....

(أ.قبادوقيا-ب نيش-ج. روما-نيقوميديا)

الفصل الثالث
تاريخ الأسرات الحاكمة في الدولة البيزنطة(٣٣٠-١٤٥٣م)

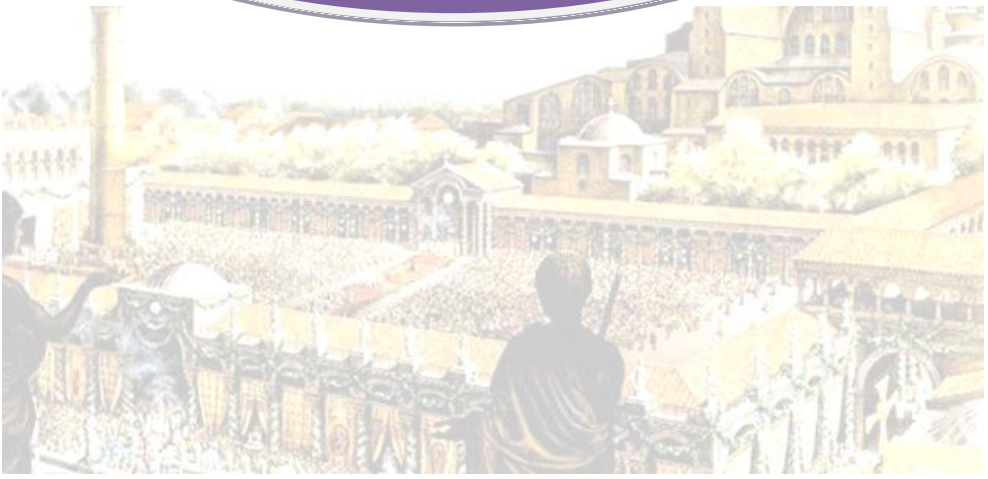

أهداف الفصل الثالث

بنهاية هذا الفصل يجب أن يكون الطالب قادراً على معرفة الآتي:

١- عدد الأسرات الحاكمة في الدولة البيزنطية.

٢- مؤسس كل أسرة وفترة حكم كل منها.

٣- الأحداث المهمة في عصر كل أسرة.

أسرة قسطنطين (٣٠٦-٣٦٣م)

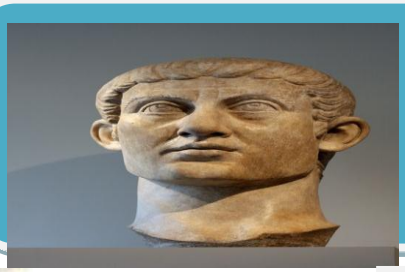

الإمبراطور قسطنطين الكبير
(٣٠٦-٣٣٧م)

الإمبراطور قنسطانز
(٣٥٠م-٣٦١م)

الإمبراطور قنسطانطيوس الثاني
(٣٣٧-٣٦١م)

الإمبراطور جوليان
(٣٦١-٣٦٣م)

أهم الأحداث في عصر أسرة قسطنطين

مثلما أشرنا في السابق عن أعمال الإمبراطور قسطنطين المهمة: وهي إصدار مرسوم ميلان وما تبعه من حرية الاعتقاد في الإمبراطورية، ثم قيامه بتأسيس مدينة القسطنطينية ننتقل الآن إلى أبرز أعمال خفائه.

الحرب الأهلية ٣٥٠-٣٥٣م

مع وفاة قسطنطين الأول عام ٣٣٧ م، إنقسمت الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٤٠م) وكان من نصيبه بلاد الغال-فرنسا- وإسبانيا وبريطانيا، وقنسطانز (٣٣٧-٣٥٠م) والذي حصل على إيطاليا وأفريقيا وشبه جزيرة البلقان وقسطنطينوس الثاني (٣٣٧-٣٦١م) وحصل على آسيا الصغرى ومصر وسوريا، لكنهم اختلفوا فيما بينهم حول هذا التقسيم; فاندلعت الحرب بينهم فيما عُرف بإسم الحرب الأهلية، حيث سرعان ما غضب قسطنطين الثاني من السلوك المتسلط لأخيه الأصغر قنسطانز وغزا إيطاليا عام ٣٤٠م وقتله، وتولى قنسطانز السيطرة على الجزء الغربي من الإمبراطورية، ورغم ذلك لم يكن محبوبًا من قبِل الجيش فدبروا مؤامرة لقتله ونجحت عام ٣٥٠م واختار الجيش ضابطًا أخر ليخلفه في حكم الجزء الغربي يسمي ماغنتيوس.

قرر قسطانطينوس الثاني الانتقام لأخيه فخرج على رأس جيشه لمحاربة ماغنتيوس، والتقى معه في معركة مورسا Mursa عام ٣٥١م وخسر ماغنتيوس وفر إلى شمال إيطاليا، بينما استعاد قسطنطينوس السيطرة على إفريقيا وأسبانيا وجنوب إيطاليا، ولم يكتفِ بذلك بل ظل مطاردًا لمغناتيوس في الشمال وإنسحب الأخير إلى

بلاد الغال، وهناك انتحر عندما حدث ضده انقلاب، وعليه أصبح قسطانطينوس الثاني هو الحاكم الأوحد للإمبراطورية البيزنطية[١].

الإمبراطور جوليان وموقفه من المسيحية ٣٦١-٣٦٣م:

نجح جوليان في الوصول إلى الحكم بعد حرب أهلية ضد قسطنطينوس والذي اتسمت شخصيته بالضعف خلال الفترة التي حكم فيها منفردًا كما أنه استمع إلى نصائح غير مخلصة من المحيطين به، وتميزت شخصيته بالميل إلى الترف والبذخ وإضاعة الوقت في السيرك، لكن أبرز أحداث عصره هو موقفه من المسيحية: نشأ يتيمًا، وظل يتلقى تعاليم المسحية حتى العشرين من عمره، ثم بدأ يميل للوثنية وأصبح نصيرًا لها، فتعلق به الوثنيون الذين كانوا يأملون أن يُعيد لهم مجدهم الغابر ففاجأ العالم الروماني بإصدار مرسوم تضمن منح كل سكان العالم مزايا التمتع بالتسامح الحر، وقيد المسيحيين بقيود صارمة، وأمر بفتح جميع المعابد، وأصدر قرار بنفي رجال الدين المسيحيين المخالفين له، ولم يكتفِ بذلك بل أعلن وثنيته علنًا وأقام معبدًا لإله الشمس الذي كان يعبده، وشارك في الأعياد والاحتفالات الوثنية، كما أنه كان يُقدم القرابين للآلهة، بالإضافة إلى الهدايا السخية التي كانت تُرسل إلى معابد الولايات الإمبراطورية[٢].

وكان جوليان يعلم أنه من المستحيل أن تعود الوثنية في صورتها الأولى، وأنه لابد من أن يجرى بها من الإصلاح ما يجعل منها نظامًا يستطيع مناهضة الكنيسة المسيحية، فقام بتنظيم المعابد الوثنية على نسق الكنائس المسيحية، فصار يتلي بها

([1])George C.Kohn, *Dictionary of War*,(New York:2007), pp.446-447.

([2]) إبراهيم خميس، وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي، ص٦٢-٦٣.

Adrian Murdoch, *The Last Pagan* (UK: 2003),pp. 3-4.

أسرار الحكمة اليونانية، وأدخل الترانيم في الشعائر الوثنية، ورغم كل ذلك لم ينجح جوليان في مقاومة المسيحيين، وتحطمت في النهاية جهوده خاصة في ظل تطلعه للأخطار الخارجية[1].

السلالة الفالنتينيانية (٣٦٤ـ٣٧٩)

الإمبراطور فالنتينيان الأول (٣٦٤-٣٧٥م)

الإمبراطور فالنز (٣٦٤-٣٧٨م)

الإمبراطور جراتيان (٣٧٨-٣٧٩م)

(1) محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٧-٢٨.

أهم الأحداث خلال تلك الفترة: إنقلاب بروكوبيوس ٣٦٥-٣٦٦م

في عهد الإمبراطور فالنز حدث انقلاب ضده في محاولة لإزاحته عن عرش الإمبراطورية، حيث استغل المتأمرين فرصة غيابة عن العاصمة الإمبراطورية وقتما كان متواجدًا في قيصرية – في أسيا الصغري –وتم اعلان بروكويسوس– ابن عم جوليان آخر إمبراطور من سلالة قسطنطين– إمبراطورًا في ٢٨ سبتمبر ٣٦٥م، وعندما علم فالنز بالتمرد فكر في التنازل عن العرش والانتحار، لكنه قرر أن يُعدل من سياسيته والتي لاقت إستياء شعبي، مما ترتب عليه رفضه لفكرة التمرد ضده، فقرر أن يقاوم التمرد وأرسل قواته من أجل القضاء علي هذه الثورة، ويُقال أن قواته انشقت عليه لصالح بروكوبيوس، ولكن في نهاية المطاف تم القبض علي بروكوبيوس وإعدامه بتهمة الخيانة العظمي[١].

خطر القوط الشرقيين (٣٦٧-٣٦٩م):

في عهد الإمبراطور فالنز تزايد خطر القوط الشرقيين الذين عبروا نهر الدانوب واستقروا داخل ربوع الإمبراطورية، وإزداد العداء مع الإمبراطورية البيزنطية على نحو أدى إلى وقوع معركة أدرنة في أغسطس ٣٧٨م، والتي كان من أهم نتائجها :

١- إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنز، بل قُتل خلالها ثلثي الجيش البيزنطي، وكان القتل من نصيب الإمبراطور شخصيًا.

---

(١) انظر: ياسر مصطفى عبد الوهاب، ثورة بوكوبيوس فى القسطنطينية ٣٦٥– ٣٦٦م وأثارها على مصر،حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، كلية الآداب جامعة عين شمس، المجلد العاشر ٢٠١٥ – ٢٠١٦ ، ص ٣٥٥ – ٣٧٥سهير محمد مليجي، ثورة بروكوبيوس ضد الإمبراطور فالنز: دراسة تحليلية مفصلة لأحداثها التاريخية، مجلة" وقائع تاريخية " عدد : 34 يناير 2021 ، الجزء الثانى.ص٢٠٣–٢٥٥.

٢- كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدرنة أن إتجه القوط الشرقيون الذين انتشوا بالنصر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلًا دون خضوعها لهم[١].

أسرة ثيودسيوس (٣٧٩-٤٥٧م)

الإمبراطور ثيودسيوس الأول

(٣٧٩-٣٩٥م)

الإمبراطور أركاديوس

(٣٩٥-٤٠٨م)

ثيودسيوس الثاني

(٤٠٨-٤٥٠م)

الإمبراطورة بلكريا

(٤٥٠-٤٥٣م)

الإمبراطور مارقيان

(٤٥٠-٤٥٧م)

(١) محمم مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية: دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة(٣٣٠-١٤٥٣) ، الطبعة الأولي، دار عين، القاهرة ٢٠٠٧، ص١٤٨-١٤٩.

الأحداث المهمة في عصر أسرة ثيودسيوس(٣٧٩-٤٥٧م)

سياسية ثيودسيوس الدينية

أصدر ثيودسيوس مرسوم ضد الوثنيين عام ٣٩٢م حرم فيه تقديم القرابين، وإحراق البخور، ووضع الأكاليل، وإراقة الخمور، وممارسة الكهانة ومعرفة الغيب، وأعلن أن كل من يخالف هذه الأوامر يُعتبر مذنبًا ومجرمًا في حق الإمبراطور، وبالتالي لابد أن ينال عقوبة صارمة، والخلاصة أن العقيدة المسيحية، اتخذت زمن ثيودسيوس صورتها النهائية وأًصبحت الديانة الرسمية للدولة، ولم يعد للديانات والمذاهب الأخرى ما تستند إليه في وجودها[١].

سياسة ثيودسيوس الخارجية

مع تولي الإمبراطور ثيودسيوس الأول اشتد خطر القوط على الإمبراطورية لكن تمكن ثيودسيوس من مصالحتهم والإستفادة منهم، واتبع سياسة الشدة مع الهراطقة والوثنيين، وعقد معاهدة مع الفرس تضمنت فترة غير قصيرة من الهدوء والسلام، ويُعتبر حكمه بداية عهد جديد في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ففي عام ٣٩٥م قسم الإمبراطورية إلى قسمين منفصلين عن الأخر، القسم الأول وهو الجزء الغربي من الإمبراطورية وأعطاه لإبنه هونوريوس والقسم الأخر هو الشرقي وأعطاه لإبنه أركاديوس والذي حكم من ٣٩٥ إلى ٤٠٨م[٢]، ورغم ذلك تعرضت الإمبراطورية بعد وفاته لخطر الجرمان الذي هدد كافة أنحاء الإمبراطورية إلى أن لجأت الإمبراطورية إلي مهادنتهم.

([1]) السيد الباز العربيني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية، بيروت، ص٤٢.

([2]) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٦٣-٦٤.

الحرب مع بلاد فارس في عهد ثيودسيوس الثاني

تدهور الوضع السياسي بين البيزنطيين والفرس عام ٤٢٠م بسبب اضطهاد الفرس للمسيحيين، وهو الأمر الذي أزعج السلطات البيزنطية فقرروا إعلان الحرب ضد الساسانيين(٤٤٢١-٤٢٢م) والتي اجبرت بيزنطة على قبول صلح غير مُرضي من أجل الهدنة[١].

قوانين ثيودسيوس الثاني

في زمن ثيودسيوس صدر القانون المعروف بإسم قانون ثيودسيوس، والذي يُعد أقدم مجموعة قوانين لما بقي من مراسيم الأباطرة البيزنطيين، ورأى ثيودسيوس إصدار مجموعة من القوانين على غرار القوانين الصادرة في عهد من سبقوه من أباطرة روما، فقام بتشكيل لجنة من أجل تحقيق هذا الغرض، والتي استغرق عملها ثمان سنوات، وأصدروا ما هو معروف بإسم قانون ثيودسيوس عام ٤٣٨م والذي انتشر في كافة أرجاء الإمبراطورية، وقانون ثيودسيوس يقع في ١٦ كتابًا، كل منهم يعالج ناحية من نواحى الحكومة: كالدواوين، والشئون الحربية، والحياة الدينية، وكل كتاب يتناول موضوعات معينة، وجرى ترتيب القوانين ترتيبًا زمنيًا[٢].

([1])Greatrex, G.,*The Roman Eastern Frontier and the Persian Wars Part II AD 363–630: A Narrative Sourcebook*,(Routledge, 2002), p. 36

([2]) السيد الباز العربيني، الدولة البيزنطية، ص٤٧-٤٨.

الأسرة الليونية (٤٥٧ــ٥١٨)

الإمبراطور ليو الأول
(٤٥٧-٤٧٤م)

الإمبراطور ليو الثاني
(٤٥٧م)

الإمبراطور ليو الثاني
(٤٥٧م)

الإمبراطور زينو
(٤٧٤-٤٩١م)

الإمبراطور اناستاسيوس
(٤٩١-٥١٨م)

أبرز أحداث الفترة:

العلاقات مع القوط الشرقيون:

تعرضت البلاد خلال هذه الفترة لخطر هجوم من جانب القوط الشرقيون، حيث ظهر ثيودريك كقائد لهم، واكتسب خبرة كبيرة كمحارب، إلا أنه تم إحضاره كرهينة إلى بلاط القسطنطينية وتعلم فيها الثقافة والحضارة، وفي عام ٤٨٨م تمكن زينو من إقناع ثيودريك بأن يتوجه بقواته إلى إيطاليا من أجل القضاء على قوات إدواكر زعيم الجرمان والذي تمكن من إسقاط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م، وبالفعل تمكن ثيودريك من ذلك عام ٤٩٣م، وتمكن من إخضاع إيطاليا وصقلية، وفي عهد الإمبراطور أنستاسيوس ارسل إليه ثيودريك يطلب منه الاعتراف بحكمه لإيطاليا، فأرسل ذلك إليه عام ٤٩٧م، وكان ذلك الاعتراف عبارة عن الرداء الأرجواني والتاج الخاص بأباطرة الغرب[١].

الحرب مع الفرس الساسانيين ٥٠٢-٥٠٥م:

توترت العلاقات بين الفرس والبيزنطيين بسبب إمتناع الإمبراطور أناستاسيوس عن دفع الإعانة المالية للفرس والذين هددوا بإعلان الحرب في حالة عدم دفعها، وبالفعل بدأ الصدام وسقطت عددًا من المدن في قبضة الفرس ومنها آمد وثيودوسيوبوليس والتي لم يتمكن الإمبراطور من تحريرها، وعاد انستاسيوس إلى طلب الصلح وتم عقد معاهدة سلام بينهما في عام ٥٠٥م وتعهد فيها بدفع ٥ آلاف رطل من الذهب سنويا، وعمل أناستاسيوس بعد ذلك على معالجة القصور في علاقاته مع الفرس. فأنشأ مدينة حصينة عرفت بأسم أنستاسيوس ولجأ إلى أسلوب الدبلوماسية عن طريق تقديم الهدايا والهبات للفرس وظلت معاهدة ٥٠٥م هي الأساس في العلاقة بين الفرس والبيزنطيين حتى بداية عصر جستنيان[٢].

([1]) إبراهيم خميس، وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي ، ص٨٤.
([2]) إبراهيم خميس، وآخرون، معالم التاريخ البيزنطي ، ص٨٦.

أسرة جستنيان(٥١٨ــ٦٠٢م)

الإمبراطور جستين

(٥١٨-٥٢٧م)

الإمبراطور جستنيان

(٥٢٧-٥٦٥م)

الإمبراطور جستين الثاني

(٥٦٥-٥٧٨م)

تيبريوس الثاني

(٥٧٨-٥٨٢م)

الإمبراطور موريس

(٥٨٢-٦٠٢م)

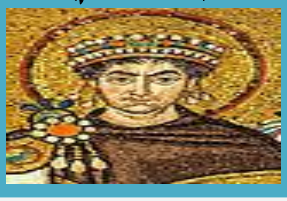

الأحداث المهمة في عصر أسرة جستنيان:

تشريعات جستنيان:

كان الإمبراطور جستنيان مدرك تمامًا أن عظمة الإمبراطور لا ترتكز على قوته العسكرية فحسب، بل يجب أن يتسلح الإمبراطور بالقانون أيضًا من أجل تحقيق المجد للإمبراطورية، وكان يعتقد أن الرب هو الذي وهب الأباطرة الحق في إصدار القوانين وتفسيرها، ومنذ توليه عرش الإمبراطورية عقد العزم على إصدار مجموعة من التشريعات، فقام في عام ٥٢٨م بتشكيل لجنة من عشرة رجال من الخبراء في مجال القانون، من أجل إصدار مجموعة من القوانين الجديدة، وقد تضمنت مجموعة جستنيان الجديدة المعروفة بإسم قوانين جستنيان كل المراسم والقوانين الصحيحة التي أصدرها الأباطرة الرومان منذ عهد الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨) إذ تم تجميعها وترتيبها، وصدرت في شكل متناسق في إبريل ٥٢٩م، وفي عام ٥٣٠م أصدر جستنيان تشكيل لجنة قانونية أخرى لمراجعة كافة الأحكام والتفسيرات القانونية التي أصدرها رجال القانون الرومان وترتيبها، وقد تم الإنتهاء من هذا العمل الضخم في عام ٥٣٠م وصدر في خمسين مجلدًا وأطلق عليه اسم " الدايجستا Digesta "[1].

وتنقسم المجموعة القانونية لجستنيان إلى ثلاث أقسام هي: الأول ويتضمن الأحكام الإمبراطورية والمراسيم والقرارات والاستفتاءات القانونية الصادرة عن مجلس السناتو، والقسم الثاني: وهو عبارة عن كتاب مختصر في أصول التشريع الروماني.

([1]) وسام عبدالعزيز فرج،الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤-١٠٢٥م، (١٩٨٢)، ص٨٢-٨٩.

أما القسم الثالث: فيعرف بإسم شرح القوانين" الدايجستا"ويتضمن القوانين المدنية بأكملها وعليها شروح المفسرين[١].

ثورة نيقيا ٥٣٢م:

واجه جستنيان ثورة داخلية كادت أن تقضي على عرشه والسبب المباشر لهذه الثورة هو إعتماد جستنيان في بداية عهده على بعض الشخصيات في شئون الحكم والإدارة مثل يوحنا القبادوقي كوزير للخزانة وتريبونيان في القضاء، وتجاوز الاثنان في ابتزاز الأموال لدرجة أن خزائن الدولة كانت عامرة في أقصى أيام الحرب أو المجاعات، ولم يتحمل شعب القسطنطينية ذلك فهبوا واندفعوا في إتجاه الهيبدروم Hippodrome– ساحة الألعاب– يدمرون ويخربون ويحرقون وهم ينطقون بكلمة " نيقا" بمعني النصر فسُميت الثورة بهذا الأسم، وتطورت الثورة واتخذت أبعادًا خطيرة، وانضم إليهم سكان الريف الذين أرهقتهم الضرائب الفادحة وأصبحت ثورة شعبية عارمة، وجزع جستنيان لما حدث وأقسم إلى الثوار على رفع المظالم عنهم، ولكن لم يستسلم الثوار فقرر الإمبراطور مقاومتهم، لكن الثوار أظهروا مقاومة شديدة، ودار قتال كبير واشتعلت النيران في مبنى مجلس الشيوخ وامتدت حتى قضت على كنيسة آيا صوفيا، ولكن نجحت قوات الإمبراطور في إخماد الثورة بعد أن أحدثت خسائر فادحة في الأرواح، حيث يقال أن حوالي خمسة وثلاثين ألف رجل قُتلوا في الأيام الستة التي اندلعت فيهم الثورة[٢].

---

(1) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٨٩-٩٠.

(2) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي) دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ٢٠٠٠م، ص٤٧-٤٩.

الإصلاح الإداري:

أولى جستنيان أهتمامًا كبيرًا بالنواحى الإدارية في الإمبراطورية، وكان يرى أن عليه أن يقوم بإصلاحات إدارية ضخمة، لأنها من واجبات الإمبراطور تجاه الرعية؛ وقد رأى أن واجب الموظفين الإداريين ينبغي أن يكونوا أمناء، وقد وضع على رأس الجهاز الإداري يوحنا القبادوقي، الذي عمل على توفير المال اللازم لجستنيان لتنفيذ مشروعاته، كما قرر جستنيان الجمع بين السلطتين الإدارية والعسكرية في يد حاكم كل ولاية من ولايات الإمبراطورية، كما قلل عدد الولايات وانتقص من عدد الموظفين. وثمة خطر مالى واجه جستنيان تمثل في طبقة كبار الملاك، الذين اغتصبوا أملاك الإمبراطورية، وانصرفوا لمباشرة شئونهم الخاصة وأغفلوا شأن الحكومة المركزية، وأشهر هذه الأسر كانت أسرة أبيون Apion وهى أسرة مصرية امتلكت قرى بأكملها وكان لصاحب الأسرة عدد كبير من الفلاحين والإداريين بل وجيش خاص يحميها، فما كان من حكومة جستنيان أن اعتبرت ذلك تحديًا لسطانها، فبدأت بمقاومة سلطة كبار الملاك بطرق متعددة، فكانت تتدخل في حق الإرث وتصادر بعض الممتلكات بحجة عدم وجود دليل على ملكيتها، ورغم ذلك لم تتمكن حكومة جستنيان من القضاء على هذه الطبقة[1] .

حروب جستنيان مع الوندال:

حاول جستنيان إعادة الهيبة البيزنطية على الأجزاء الغربية في أوروبا وأفريقيا، والتي وقعت تحت حكم البرابرة فعمل على استرداد شمال أفريقيا أو ما يسمي الأراضي الليبية من الوندال، وقد لاقت دعوته بمحاربة الوندال معارضة شديدة من قِبل وزرائه لصعوبة الاستيلاء على ليبيا خاصة أن إيطاليا وصقلية كانوا في حوزة أعداء

([1]) عمر عبدالمنعم إمام، تاريخ الدولة البيزنطية(١) القاهرة ٢٠٢١، ص٥٦-٥٩.

الإمبراطورية، وبالفعل كاد يقتنع بهذه الاعتراضات، لولا وصول أحد الأساقفة من الشرق وقال إلى الإمبراطور بأن الله قد أوعز إليه مقابلة الإمبراطور ولامه علي تقاعسه من نصرة المسيحيين في ليبيا، وعليه قرر إرسال حملة تكونت من عشرة آلاف من المشاة وخمسة آلاف فارس وخمسمائة سفينة، وفي سنة ٥٣٣م توجه الأسطول إلى مالطة، ومنها إلى ليبيا وهناك تمكن قائد القوات بليساريوس من الاتصال بزعماء العناصر الناقمة على حكم الوندال وتمكن من الانتصار والإستيلاء على قرطاجة وتحقيق انتصار كبير على الوندال[١].

انتشار الطاعون" طاعون جستنيان":

هاجم الطاعون الإمبراطورية البيزنطية خلال الأعوام من ٥٤١-٥٤٤م، وانتشر في كافة انحاء الإمبراطورية وامتد إلى مقاطعات وسُمي بالطاعون الجستنياني نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له، وتُشير الروايات التاريخية أن عدد ضحايا هذا الطاعون بلغ ٥.٠٠٠ يوميًا ، وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره والذي هدد البنية السكانية والأنشطة المجتمعية، والذي اعتبروه عقاب آلهي للآثام التي ارتكبوها فهرعوا إلى الكنائس من أجل طلب الشفاء[٢].

(١) عبدالقادر أحمد اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص٥٧-٥٩.
(٢) محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧١-١٧٣.

خلال الفترة من ٦٠٢ وحتي ٦١٠ م، حكم الإمبراطورية أحد القواد العسكريين وهو القيصر فوقاس قائد جيش البلقان، لكنه لم يحظى بشعبية كبيرة ، وجاء من بعده الإمبراطور هرقل

حركات التمرد ضد الإمبراطور موريس:

كانت هناك قلاقل وهياج داخل الجيش البيزنطي نتيجة تمرد وعصيان عسكري ضد الإمبراطور موريس؛ بسبب الطريقة التي كان يعامل بها موريس جيشه، كما أنه كان غير محبوب من رجال الجيش ولم ينل احترامهم، وخاصة بعد رفع هؤلاء الجند شكواهم إليه بسبب تأخر رواتبهم، مما أدى إلى قيام حركات تمرد ضده قادها الجند الذين اختاروا قائدًا لهم هو فوقاس ليكون إمبراطورًا عليهم، وزحفوا إلى القسطنطينة، وقد أسفرت حركة التمرد تلك في نزول موريس عن العرش الإمبراطوري وإعلان فوقاس إمبراطورًا على الدولة البيزنطية، وما أن أعتلى فوقاس العرش حتى سعى للتخلص من الإمبراطور السابق وابنائه، وقد تعرضت الإمبراطورية في عهد للعديد من الأخطار الخارجية كالفرس والآفار والسلاف، وخلال الأعوام الأخيرة من عهد فوقاس تعرضت البلاد لمجاعة شديدة، وهلك العديد من الناس والحيوانات نتيجة تلف محصول القمح، وعاني الجميع من هذه الأوضاع المضطربة وظل الوضع حتى اعتلاء الإمبراطور هرقل عرش الإمبراطورية[1].

([1]) عمر عبدالمنعم إمام، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٣-٧٥.

الأسرة هرقل(٦١٠ــ٦٩٥م)

الإمبراطور هرقل

(٦١٠-٦٤١م)

قسطنطين الثالث

(٦٤١م)

الإمبراطور هرقلوناس

(٦٤١م)

قسطنطين الثاني

(٦٤١-٦٦٨م)

قسطنطين الرابع

(٦٦٨-٦٨٥م)

جستنيان الثاني

(٦٨٥-٦٩٥م)

الأحداث المهمة في عصر أسرة هرقل

استرداد الصليب المقدس :

كان الخطر الأكبر الذي يُهدد الإمبراطورية البيزنطية متمثلًا في الفرس، وقد اخذ الإمبراطور هرقل على عاتقه مهمة محاربتهم خاصة بعد أن استولى الفرس على انطاكية وغيرها من المناطق المهمة التابعة للدولة البيزنطية، وجاءت الضربة القوية بعد أن استولى الفرس على بيت المقدس عام ٦١٤م حيث تعرضت المدينة لمذبحة بشرية كبيرة واستولوا على الصليب المقدس، بعد أن روعوا العالم المسيحي بقتل أكثر من ٩٠ ألفًا من سكان المدينة المقدسة، ولم يقنعوا ببيت المقدس بل استولوا على مصر عام ٦١٩م، فقرر هرقل محاربتهم بعد أن قام بإعادة تنظيم الأقاليم التابعة للإمبراطورية وحقق بالفعل انتصارات كبيرة على الفرس حتي تمكن من إستعادة بيت المقدس ومصر وغيرها واستعادة الصليب المقدس عام٦٢٧م[١].

العلاقة مع المسلمين:

يُمثل عصر الأسرة الهرقلية مرحلة تاريخية مهمة، خاصة وأن هذه الأسرة شهدت ظهور الإسلام بقيادة الرسول صلي الله عليه وسلم في شبه الجزيرة العربية، ثم خروج المسلمين لإعلاء كلمة التوحيد فاصطدموا بالدولة البيزنطية والتي كانوا يطلقون عليها اسم دولة الروم، وتوالت المعارك بين الجانبين وكان النصر فيها حليفًا للمسلمين، فضاعت من بيزنطة بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا وأسبانيا، وكذلك تقدم المسلمون إلى آسيا الصغري محاولين فتح القسطنطينية والتي وقفت حجر عثرة أمام

([1]) محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٥-٨١.

تقدمهم إلى أوروبا. وجاءت بداية الأحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم، وذلك في تلك الغزوة التي شارك فيها الرسول صلي الله عليه وسلم، والمعروفة بغزوة دومة الجندل- الواقعة بين الشام والمدينة- والتي كان حاكمها يدين بالولاء والطاعة للبيزنطيين ووقعت في عام ٦٢٦م وكان النبي الكريم يهدف من ورائها إفزاع بيزنطة ومنع صاحب الدومة من تهديد التجار وحققت الغزوة أهدافها، ثم استمرت سرايا الرسول ضد مخالفي بيزنطة والقاطنين على حدود شبه الجزيرة العربية[١].

وعندما عقد الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم صلح الحديبية ٦٢٨م عمل علي نشر الدعوة الإسلامية من خلال الكتب والرسائل إلي ملوك وأمراء العالم الوسيط، فقام بإعداد الكتب واختيار السفراء وكان من ضمنهم الإمبراطور هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية ، والذي أرسل له رسالة مع دحية بن خليفة الكلبي، وفيها دعوة الإمبراطور لدخول الإسلام وقد استقبل الإمبراطور هرقل الدعوة استقبالا حسنًا[٢].

علاقة الإمبراطورية البيزنطية بمملكة الخزر اليهودية:

تميزت العلاقات بين الدولة البيزنطية ومملكة الخزر بتذبذبها بين السلم تارة والحرب تارة أخري، وتشير الروايات التاريخية أنه في عام ٦٢٧م وحينما علم الإمبراطور هرقل بالغزو الخزري لأرمينيا تحرك من طرابيزون على البحر الأسود

([1]) إبراهيم خميس، معالم التاريخ البيزنطي، ص١٣٨-١٣٨.

([٢])عبدالرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة، دار الفكر العربي ، القاهرة١٩٩٧م، ص٧٢-٧٣ .

وتوجه إلى "لازيكا" أملًا في لقائهم عند عودتهم، ومن هناك أرسل الإمبراطور هرقل البطريرك أندرياس إلى حاكم الخزر " زيبل" محملًا بهدايا قيمة وطلب إليه أن يفاوضه في إقامة تحالف بينه وبين بيزنطة، ورحب أمير الخزر بذلك وبعث بسفارة يصحبها ألف فارس كبعثة تأييد إلى منطقة لازيكا التي كان يقيم فيها الإمبراطور، ويقال أنه بعد أن بعث حاكم الخزر بسفارة إلى الإمبراطور هرقل، قرر الذهاب للقائه شخصيًا والتقى بزيبل حاكم الخزر، وعندما رأي زيبل الإمبراطور تقدم نحوه وعانقه وسجد جميع جند الخزر وخروا على وجوههم من هيبة الإمبراطور[١].

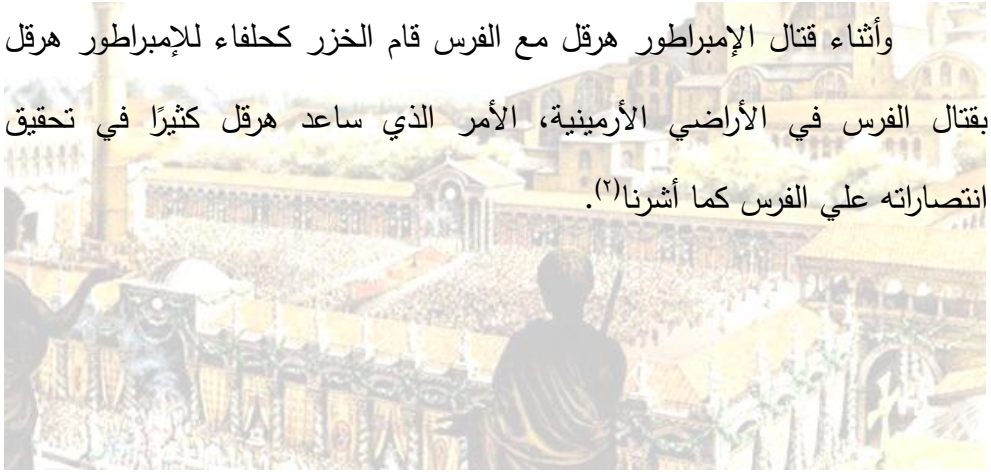

وأثناء قتال الإمبراطور هرقل مع الفرس قام الخزر كحلفاء للإمبراطور هرقل بقتال الفرس في الأراضي الأرمينية، الأمر الذي ساعد هرقل كثيرًا في تحقيق انتصاراته علي الفرس كما أشرنا[٢].

(١) محمد عبدالشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، دار الوفاء، الإسكندرية٢٠٠٢، ص٧٩-٨٠

(٢)وسام عبدالعزيز فرج،الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٥

خلال الفترة من ٦٩٥م وحتي قيام الأسرة الأيسورية عام ٧١٧م سُميت بفترة العشرون عامًا حكم خلالها قواد عسكريين ، تميزت تلك الفترة بعدم الأستقرار واضطراب في كافة شئون الدولة

الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٠٢م)

الإمبراطور ليو الثالث
(٧١٧-٧٤١م)

قسطنطين الخامس
(٧٤١-٧٧٥م)

ليو الرابع
(٧٧٥-٧٨٠م)

قسطنطين السادس
(٧٨٠-٧٩٧م)

إيريني
(٧٩٧-٨٠٢م)

حكام الفترة (٨٠٢-٨١٣م)

نيقفور الأول

(٨٠٢-٨١١م)

ستوراكيوس

(٨١١م)

ميخائيل الأول

(٨١١-٨١٣م)

ليو الخامس

(٨١٣-٨٢٠م)

الأسرة العمورية(٨٢٠-٨٦٧م)

ميخائيل الثاني

(٨٢٠-٨٢٩م)

ثيوفيلوس

(٨٢٩-٨٤٢م)

ميخائيل الثالث

(٨٤٢-٨٦٧م)

شهدت فترة حكم الأيسورية وحتي نهاية حكم الأسرة العمورية عدة أحداث مهمة لعل أبرزها:

الحركة الأيقونية واللأيقونية:

وسوف نحاول في الصفحات التالية أن نتناول هذه الحركة من مفهوم الإيقونة وإعتقاد البيزنطيين فيها وأسباب إندلاع الحركة الأيقونية وموقف أباطرة بيزنطة منها.

تعد الأيقونات واحدة من أهم المقدسات المسيحية التي خلفها التراث، وهي جزء أًصيل من التراث الفني والديني البيزنطي. ولفظة " أيقونة Icon " مشتقة من الكلمة اليونانية "eiko" والتي تعني "أشبه أو أماثل" وكذلك من الكلمة eikon" التي تعني رمز أو صورة مقدسة(١). وفي التقليد البيزنطي الأرثوذكسي كانت الأيقونات تعني أكثر من مجرد التمثيل التصويري للموضوع الديني، حيث إن التقديس لهذه الصور لم يكن منصبًا علي مادة الصورة أو رسمها وإنما على روح الصورة وما تضمنته من القوة الإلهية الساكنة فيها، فأيقونة المسيح تُجسد ابن الله وكلمته، وأيقونة العذراء تشير إلي والدة الإله، وأيقونات الرسل والقديسين تجسد ممثلي وورثة المسيح على الأرض. وتبعًا لذلك انتشرت الأساطير التى تشير إلي أن صورًا تكلمت وأخرى تحركت، الأمر الذي جذب إليها أنظار وجموع الشعب البيزنطى(٢). وبعامة كان البيزنطيون ينظرون إلى الأيقونات بوصفها آداة حية تستطيع أن تتحرك وتتحدث وتذرف الدموع وتبتسم(٣)، وتقاتل الوثنيين أو الخطاة غير المؤمنين،؛ إذ كان الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية أحد المهام الرئيسية لها(٤).

---

(1)Vikan ,G.,"Byzantine Art", *Byzantium, a World Civilization* ,eds. Angeliki E. Laiou&H. Maguire, Dumbarton Oaks (Washington, D.C 1992),pp.81-118,esp.85.

(2)Fortounatto,M. & Mary B. Cunningham," Theology of the icon",*The Cambridge Companion to Orthodox Christian Theology*,eds. Mary B. Cunningham& Elizabeth Theokritoff,(Cambridge University Press 2008),pp.136-149,esp.136.; Bissera V. Pentcheva,"Icons,Byzantine", *Gender in Medieval Europe: An Encyclopedia*, ed. Margaret Schaus, Routledge(London,2006),pp.293-5

(3)Vasilaki ,M., "Bleeding Icons, in Icon and Word. The Power of Images" , *Byzantium: Studies presented to Robin Cormack*, ed. A. Eastmond and E. James, (Aldershot 2003),pp. 121-133.

(4)Annemarie ,W. Carr," Icons and the Object of Pilgrimage in Middle Byzantine Constantinople", *DOP* 56 (2002),pp.75-92,pp.82,3.

ويذهب علماء الآثار بأن الأيقونات قديمة العهد وترجع إلي القرون الثلاثة الأولى من الميلاد ، حيث وجدت في المدافن الرومانية القديمة، أما بالنسبة لتحديد وقت دخولها أماكن العبادة العامة، فيرجع ذلك إلى أنها انتقلت من البيوت إلي هذه المعابد أواخر القرن الثالث الميلادي ثم انتشرت أواخر القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ورغم أن المسيحيين الأوائل كانوا حريصين على إزالة معالم الوثنية القديمة المتمثلة في التماثيل والصور استنادًا إلى تعاليم الكتاب المقدس، إلا أن البسطاء والعامة عجزوا عن فهم العقيدة المسيحية الجديدة، خاصة وأنهم حديثوا العهد بالمسيحية، لذا لجأ رجال الدين والمُبشرون الجُدد إلي استخدام وسائل مختلفة لتقريب الدين الجديد لعقولهم . فأباحوا تصوير المسيح والعذراء والحواريين ، وعليه أجاز الأباطرة للفنانين إنتاج هذه الصور ، ودعا رجال الدين أن ذلك ما هو إلا وسيلة للتعليم تتناسب وعقول العامة والأميين الذين لا يستطيعون فهم الكتاب المقدس ،حيث قال الداعون أن هذه الصور تخاطب العاطفة وحاسة البصر[١].

وفي هذا السياق نجد أن صور المسيح والعذراء احتلت مكانة مرموقة بالعاصمة وغيرها من المدن البيزنطية، فأمامها تضرع البيزنطيون واستلهموا النصرة ودفع المكروه، كما التمسوا منها البركة للشفاء وقضاء الحاجات لقدرتها على تزويد أصحابها بقوة روحية ومادية لا حدود لها، فنجد أن الإمبراطور ثيوفيلوس وقتما كان طريح فراش الموت، ظن أن رؤيته لأيقونة المسيح ووضعها على شفتيه كانت سر شفاءه الفوري[٢]، كذلك أُعتقد أن الإمبراطور اليكسيوس كومنينوس شُفي من مرض خطير أصابه عندما تمت تغطيته بسترة كانت معلقة أمام أيقونة السيد المسيح، المسماه خالكيتس chalkites [١]. وكان للإمبراطورة زوي صورة للمسيح كانت تمسكها بيدها وتبتهل وتضرع إليها معتقدة أنها ستنبئها بالمستقبل[١].

---

(١) إبراهيم علي طرخان،الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦ ، ص٦ -٧.

(2) Vinson,M.," The Terms ἐγκόλπιον and τενάντιον and the Conversion of Theophilus in the Life of Theodora (BHG 1731)", *GRBS* 36, No 1 (1995),pp.89-99,esp.90.

(1) Nunn,V.," The Encheirion as adjunct to the Icon in the Middle Byzantine Period," *BMGS* 1 (1986),pp.73-102,esp.85.

ونظرًا لأن الاعتقاد المسيحي للأيقونات كان منصبًا ومركزًا بشكل طبيعي على الموضوعات القائمة على القيم الدينية والأخلاقيات المسيحية والتكريسات، فإن الملائكة لعبت دوراً أساسياً في القداسة الدينية عند البيزنطيين، خاصة مع كونهم ممثلون ومقترنون بأيقونات المسيح والعذراء[٢]. وفي هذا الصدد تشير ثمة قصة اشتهرت لدى البيزنطيين عن معجزة لأيقونة رئيس الملائكة ميخائيل في خونای[٣]–

بوابة خالكي كانت المدخل الرئيسي إلى القصر الكبير فى القسطنطينية خلال العصر البيزنطى، وهذا الاسم يعنى بوابة البرونز، وقد تم تزيين البوابة بالرخام والفسيفساء ووضع عدد من الرموز أبرزها رمز للسيد المسيح ومصلي مخصص للسيد المسيح في خالكيتس، وفوق مدخلها الرئيسى وضع رمز المسيح أو ما يسمى المسيح خالكى بوصفه حافظًا للمدينة. صورة المسيح عند بوابة خالكي مظهرها غير دقيق وواضح رغم الترميمات العديدة التي لحقت بها، حاول ليو الثالث تدمير الصورة خلال الفترة من ٧٢٦–٧٣٠م، ولكن أعادتها الإمبراطورة إيرينى مرة أخرى حتى تمت إزالته مرة أخرى عن طريق ليو الخامس، وحلت محلها مجموعة من الصلبان البسيطة وبعد انتصار عقيدة تبجيل الأيقونات رسُمت من قبل الفنان لازاروس لتمثل المسيح، عبارة عن تمثال نصفى مع هالة وراء رأسه ومكانة رمز المسيح خالكى تظهر فيفسيفساء صحن كنيسة تشورا Chora في القسطنطينية . انظر :

Frolow, A.," Le Christ de la Chalce", *Byz* 33 (1963) pp.107-120.; Nancy P. Sevicenko," Christ Chalkites ", *ODB* ,p.440.; Bissera V., Pentcheva, *The sensual icon* (Penn State Press 2010),p.88.

([1])Dennis, G. T. "Popular religious attitudes and practices in Byzantium," *PrOC* vol. 43, no3-4 (1993)pp. 273-294,esp.278.

([2])Lucy J. Wrapson, *Byzantine Art and Italian Panel Painting*(Cambridge University Press 2015),p.46.

([٣])يرجع سبب تبجيل البيزنطيين لضريح خوناي وارتباطه بالملاك ميخائيل إلى القوى الخارقة الخاصة بالملاك ميخائيل حيث تعددت الروايات الأسطورية في خوناي –عن الملاك ميخائيل–وبعضها ما زال باقي كما هو الحال في معظم الأساطير الشعبية في العالم البيزنطي ، وجميع هذه الروايات سردوا نفس السلسلة من الأحداث :وهي أن مجموعة من الوثنيين حاولوا تدمير الضريح الديني في خوناي من خلال اقتراب المياه الفيضية التي تهدد الضريح وفي اللحظة الأخيرة ظهر ميخائيل في شكل عمود من النار من السماء والأرض وأجبر المياه على الدخول في هذا الشق الكبير الذي صنعه لحماية الضريح، لذا نجد أن الضريح الديني وينبوعها الجديد تم تبجيلهم نتيجة لذلك والتف الناس حول الينبوع طلبًا للشفاء وقد قالوا إنه يجب على الشخص أن ينادي على الأب والابن الروح المقدس وعلى ميخائيل.

غرب آسيا الصغرى–، أُعتقد في حدوثها في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢–٨٦٧م)، ومفادها أن ماكرينوس–صانع شمع وخادم لضريح الملاك ميخائيل –كان إذا شعر بألم خفيف يذهب إلى الكنيسة ويُشفى علي الفور. وذات مرة سقط ماكرينوس مريضًا، فذهب إلى الضريح بناء على نصيحة أحد الأطباء المقيمين حول الكنيسة بضرورة ارتداء لبخة من بعض الدواء والمكوث في الضريح. وفي ذات الليلة نام ماكرينوس ورأي رؤية فُتحت فيها فجأة وفي آن واحد كل أبواب الكنيسة، حيث أتى نحوه "رجل مهيب على حصان أبيض ضخم كما لو أنه هبط من السماء، ونزل من على جواده ودخل مع حراسه الكنيسة، التي عمتها روائح ذكية، وبعد فحصه لماكرينوس، أخذه نحو شمعة كانت معلقة أمام أيقونة رئيس الملائكة ميخائيل وغمس أصابعه في زيتها وأشار بعلامة الصليب على جبهة ماكرينوس". وفي الصباح حكى ماكرينوس رؤيته للشماس الذي رأي الصليب على جبهة الرجل وصدق

Archangel Michael at Chonae.

Peers,G., "Holy man, supplicant, and donor: On representations of the miracle of the Archangel Michael at Chonae", *M S* 59 (1997),pp.173-82,esp.174.

كان الشكل الملائكى غير معروف علي وجه التحديد وهو ما دفع المؤرخين للاستناد إلى ما ذكره اللاهوتيون عنهم، باعتبارهم مخلوقات غير مرئية بالعين المجردة ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال أشخاص مقدسين، ويقول البطريرك فوتيوس أن الملائكة ليسوا في السماء ولكن تحت السماء وهى كائنات مجنحة نحو السماء صاعدة طبيعتها نقية غير فاسدة عفيفة، وكانت مهمتها الرئيسية نقل إرادة الله للإنسان.انظر

Enrico V. Maltese, *Dimensioni byzantine Donne, angeli e demoni nel Medioevo Greco*, Scriptorium (Torino1995),pp.47,65-8.

كل ما قاله له. الأمر الذي ساعد على زيادة الاعتقاد الشعبي في الأيقونات الملائكية وقدرتها على الشفاء المقدس(١).

ونظرًا لذلك امتلأت الكنائس والأديرة بهذه الصور المقدسة ، وعلقت بالدور والحوانيت وطُرزت على الملابس ونُقشت على الكتب والأثاث وشتي الأدوات، وفضلًا عن الصور، نُحتت هذه الصور في هيئة مجسمة ووُضعت في الميادين العامة وعلى أسوار القصور الملكية. وتزايد الاعتقاد الشعبى في أيقونات السيدة العذراء وقدرتها على الحماية والنصرة، حتى أننا نجد أن الإمبراطورة ثيوفانو Theophano (القرن العاشر) راحت تتعبد طويلاً أمام أيقونة والدة الإله حتى تظهر لها في المنام(٢). كما راحت زوجة الإمبراطور ليو السادس التواقة إلى حمل طفل تطوق بطنها بخيوط من صورة العذراء. وثمة أيقونة صورتها مخطوطة يوحنا سكيليتزيس تشرح تعليم جدة بنات ثيودورا وثيوفيلوس الخمسة كيفية تبجيل أيقونة السيدة العذراء.**(انظر شكل ٧)**، في حين صُور نيقفور الثانى فوقاس نائمًا على جلد النمر في حجرته أمام أيقونة العذراء.(٣)

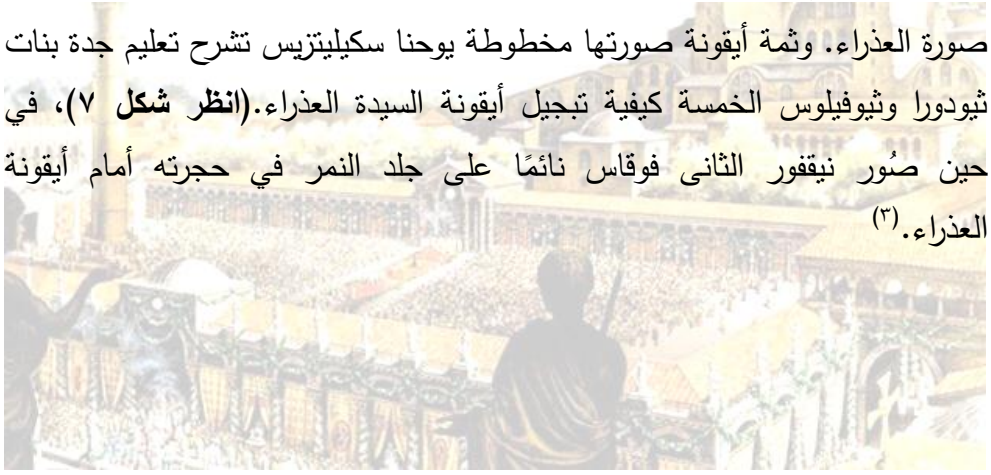

(1)Peers, G., *Subtle Bodies: Representing Angels in Byzantium* ,Berkeley,(University of California 2001), pp .154-55.;Gabeliç,. "The Iconography of the Miracle at Chonae. An Unusual Example from Cyprus," *Zograf* 20(1989),pp.95–103

(2)Krausmüller,D., "Denying Mary's real presence in apparitions and icons: Divine impersonation in the tenth-century life of Constantine the ex-jew," *Byza* 78:288(2008),pp.288-303,esp.298-9.

(3)Annemarie ,W. Carr, "Court Culture and Cult Icons in Middle Byzantine Constantinople" , *Byzantine Court Culture from 829 to 1204* , ed. Henry Maguire , Dumbarton Oaks (Washington 1997), pp.81-99,esp.83.

شكل(٧) يوضح كيفية تعليم جدة بنات ثيودورا وثيوفيلوس الخمسة تبجيل أيقونة السيدة العذراء

وإذا كان تبجيل الأيقونات أكثر وضوحًا وجزءً أساسيًا من العقيدة والممارسة الأرثوذكسية البيزنطية، بحيث باتت الزخرفة التصويرية والأيقونات في الكنائس وازعًا مهمًا ودافعًا قويًا لمزيد من الإيمان والتبجيل، فقد كان لكل بيزنطي مكانًا خاصًا في منزله لأيقونات صغيرة سواء في شكل منحوت أو مصورة على أقمشة أو ألواح الخشبية؛ إذ كان يُعتقد بأن الأيقونة في المنزل تجعل قداسة الشخص المجسدة حاضرة تنشر البركة في كافة أركانه. كذلك أُستخدمت الأيقونة في الشئون الإدارية للإمبرطورية؛ ففي عهد الإمبراطور باسيل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) نُقشت صورة المسيح على القطع النقدية، وبذلك أصبحت رمزًا للدولة في عهد ليو السادس وخلفاءه الكسندر وقسطنطين السابع. **(انظر شكل ٨)**، حيث نجد أن الإمبراطور ميخائيل الرابع على العملة تعلوه يد المسيح المباركة[١].

([1]) Grierson,Ph., *Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in the Whittemore Collection, vol. III: Leo III to Nicephorus III, 717-1081* (Washington 1973), pp. 154-158.; Annemarie W. Carr.," Court Culture and Cult Icons in Middle Byzantine Constantinople",p.84.

شكل (٨) الإمبراطور ميخائيل الرابع يظهر على العملة تعلوه يد المسيح المباركة

ولم تغب الأيقونات أيضًا عن مراسم التتويج الإمبراطوري، وكثيًرا ما كانت رسوم التتويج تظهر الإمبراطور المتوج محاطاً بشخصيات مقدسة؛ فثمة لوحة من العاج لقسطنطين السابع توضح تتويجه من قبل السيد المسيح، وصورة أخرى تظهر ميخائيل السابع وزوجته ماريا الآلانية متوجين من قِبل المسيح (أنظر الشكلين ٩ – ١٠)[1].

([1])Garbar,A., *L'Empereur Dans L'art Byzantin* (Strasbourg 1936),p.117.; Gerland, L., Byzantine Empresses, p.181.

شكل (٩) يوضح تتويج ميخائيل السابع وزوحته من قبل المسيح

شكل (١٠) تتويج ميخائيل السابع وزوحته من قبل السيد المسيح

واللافت للنظر أن تبجيل مريم العذراء تطور بشكل ملحوظ، ومن ثم تبجيل الصور المقدسة الخاصة بها، وهو الأمر الذى أثار مخيلة البيزنطيين فراحوا ينسجون قصصًا وروايات عن معجزاتها، قصص حظت بشعبية طاغية بين جموع المجتمع البيزنطى، فامتدحوا عذريتها، وتزايد التكريس الشعبى لها، وصار لمصطلح ثيوتوكوس Theotokos[١] –الذى يعنى والدة الإله– متداولاً بكثرة في كافة مظاهر الحياة اليومية، وراحت الكنيسة تستثمر ذلك، مشجعة على التكريس لها والتفاني في عبادتها في الأعياد الخاصة لها، وصاغ رجال الدين ترانيمًا في تبجيلها تمتدح مواقفها البطولية الشعبية في حماية العاصمة وأهلها وكنيستها ومحاربتها للشياطين، وراحت تروج بين الناس قدرة العذراء على فتح أبواب الجنة لأولئك الذين يثقون فيها وفي معجزاتها[٢].

(١) ثيوتوكوس : أم الإله وهو لقب مريم العذراء، وقد ظهر هذا اللقب قديمًا عند الإلهة المصرية القديمة وكان لقب الإله إيزيس، وظهر في النصوص الرومانية بعد ذلك في القرن الثالث، كما استخدمه أثناسيوس السكندرى Athanasius of Alexandria (٢٩٣-٣٧٣م) في كتابة الخطابات ضد الأريوسين Arians غريغوريوس النزينزى Gregory of Nazianzus ، وكان استخدام هذا اللقب من الأسس التى يقوم عليها الإيمان المسيحى، حيث إنه لا يوجد أحد لا يعترف بأن العذراء مريم هى والدة الإله.

Babic ,G., "Theotokos", *ODB*,p.2070 ; Michael O'Carroll, *Theotokos: A Theological Encyclopedia of the Blessed Virgin Mary*, Wipf and Stock , Eugene(Oregon 2000),p.342.; Schweitzer ,V., Alter des Titels Theotokos," *Dr Katholik* 28 (1903) ,pp.97-113.

(٢)وهنا نود أن نشير إلى أن الكنيسة منذ وقت مبكر أثارت وحذرت من تهمة عبادة الأصنام وكان هناك معارضة واضحة لعرض الصور الدينية والتى اصبحت بصورة تدريجية –خلصة العذراء والسيد المسيح–أكثر تبجيلًا وتعبدًا، إلا أنه ظلت هناك معارضة خطيرة للصور بين الأساقفة والناس البسطاء، ورغم ذلك نجد أنه في القرن التاسع أصبح التيار العام يفضل الصور وبدأ تبجيل الصور بين الناس العاديين وفي النهاية اتفق علماء الدين والأساقفة على صحته، وقام مجمع نيقية ٨٧٨م بتأكيد ذلك، وعليه انتشرت صور حياة المسيح والتي اعّيد تقديمها في الرموز والطقوس الدينية، هذا وقد عمل وزراء رسميين على إعادة عرض العمل أو الحديث في حياة وآلام المسيح وأصبحت أكثر شيوعًا بين جموع الشعب البيزنطي . انظر:

Dennis, G. T. "Popular religious attitudes and practices in Byzantium", pp.275-6.

لقد اعتقد البيزنطيون أن العذراء تقيم معهم في القسطنطينية من خلال أيقوناتها وتحميهم من شرور الشياطين، وانتشرت قصص معجزاتها في هذا الصدد، منها قصة تُشير بعطف العذراء وحرصها على شعب مدينتها، ومؤداها أن فتاة مسها الشيطان لسبع سنوات، ومن خلال أيقونة العذراء تجسدت لها العذراء في رؤيا وقالت لها: "إنني موجودة في القسطنطينية وأستطيع أن اصطحبك إلى كنيستى المقدسة كى أطهرك وأشفيك، لكنني أخشى أن تصاب أمك بحزن شديد إذا استيقظت ووجدت سريرك فارغًا، لذا سأعالجك وأنتِ في فراشك"(١).

إذن تطور الأمر من مجرد وسيلة للتعليم، إلى نوع من العبادة، وهو ما لم يرضِ فريق من المسيحيين فبدأت معالم الاحتجاج عليها والإنكار لها بل ومقاومتها بوصفها نوع من العبادة أشبه بالوثنية، فقامت حركة مضادة أي لا أيقونية، ومثلما كان ميلاد الأيقونات لأجل غرض ديني كذلك كان الباعث الديني هو العامل الأساسي لدي المعترضين عليها من أجل تنقية المسيحية من الشوائب الوثنية والتي كانت الأيقونات أحد أنواعها، ونشأ فريقين متصارعين في الإمبراطورية البيزنطية: فريق مؤيد

(١)وخير مثال للتأكيد على اختيار القسطنطينية كمدينة لها، الرواية الاسطورية التى تشير إلى أنه عندما بدأ الأباطرة تحقيق سياسة تحطيم التماثيل الدينية، وأخذ البطريرك الصورة المقدسة للعذراء إلى البحر لكي يحميها من التدمير أرسلها في رحلة إلى العاصمة الغربية "روما"، ووصلت الصورة إلى روما خلال ٢٤ ساعة، وقد رحب البابا بها وعلقت في الكنيسة ومرت الأعوام وتغيرت السياسة الإمبريالية على ما كانت عليه من قبل، والأيقونة عرفت بأنه حان الوقت لعودتها، وسارعت لتحرر نفسها من مربطها وأحدثت ضوضاء عنيفة وغنت ترنيمة هي بصوتها وحررت نفسها وذهبت الى نهر التيبر وبعد ذلك إلى البحر المفتوح وبعد مكوثها في الماء فى خلال يوم وليلة وصلت إلى القسطنطينية وهناك وجدت موطنًا في كنيسة العذراء في ضاحية chalkoprateai بالقرب من آيا صوفيا، وربما هذه الحادثة عنت الكثير لأهل القسطنطينية .انظر:

Baynes ,N., "The Supernatural Defrnders of Constantinople", *AB* 67 (1949). pp.165-177,esp.173.

للأيقونات وفريق معارض لها وقامت ما عُرف بحرب الأيقونات أو الصراع الأيقوني[١].

موقف الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري(٧١٧-٧٤١م):

الحقيقة أن استنكار عبادة الأيقونات لم يكن وليد عهد ليو الثالث وإنما يرجع إلى عهد سابق، بسبب اعتراض المثقفين وسخطهم على تصوير الإنسان ورسمه ونحته في الحجر، واعتبروا ذلك ضربًا من الوثنية وعبادة الأصنام إلا أن الأمر أصبح واضحًا في عهد ليو الثالث والذي أعلن الحرب على عبادة الصور المقدسة، وأصدر مرسومًا عام ٧٢٦م يحُرم فيه عبادة الصور والأيقونات بتأييد من بعض قطاعات الشعب وكبار رجال الدولة والعسكريين[٢].

ويقال أن الإمبراطور ليو الثالث انتهز فرصة وقوع ثورة بركانية عند ثيرا Thera وقال أن ذلك علامة عن غضب الرب على الإمبراطورية بسبب عبادة الأيقونات، وعليه لابد من إلغائها وهو السبب وراء مرسومه السابق والذي أعلن فيه بطلان عبادة الأيقونات، وعليه أخذ الجنود يرفعون تلك الأيقونات إلى أماكن عالية لكي تكون بعيدة عن الشعب، وعندما حاول الجنود إقتلاع الصورة الكبيرة للسيد المسيح عليه السلام والمعلقة عند مدخل القصر الإمبراطوري حرض الرهبان السكان وثاروا ضد الإمبراطور وقتلوا القائد فعاقبهم الإمبراطور شر عقاب[٣].

وبعد ذلك أخذت سياسة العنف والبطش تحل محل اللين، فاصدر الإمبراطور ليو مرسومًا أخر عام ٧٣٠م بمنع استعمال الأيقونات وتحريمها، فاحتج جرمانوس بطريرك القسطنطينية، فأقصاه عن منصبه وعين رجل من أتباعه غير مؤمن بالأيقونات ويسمي أنستاسيوس، وانتشرت أعمال التخريب، وأُحرقت الصور وحُطمت التماثيل، ومن بين الأعمال العنيقة التي قام بها ليو: أنه أمر بإحراق مكتبة كبرى مجاورة لكنيسة القديسة صوفيا تحتوي علي أكثر من ٣٣.٠٠٠ مجلد، وقد احتجت البابوية برئاسة البابا جريجوري الثاني على تلك الأعمال، وأعلن هرطقة الإمبراطور

(١) إبراهيم علي طرخان،الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ص٨
(٢) محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٠.
(٣) عمر كمال توفيق، الإمبراطورية البيزنطية، ص٨٨.

ليو، ودار صراع عنيف بينهم واستمر الإمبراطور ليو في عنفه ضد الأيقونيين إلى أن توفي عام ٧٤١م[١].

وقد اختلفت آرداء المؤرخين حول الأسباب التي دفعت الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري لإتخاذ حربه ضد الأيقونات والأيقونيين منها محاولة التقرب من المسلمين الذين اعتبروا الأيقونية ضربًا من الوثنية، خاصة أنه قامت أزمة حادة في بلاد المسلمين عام ٧٢٣م تزعمها الخليفة يزيد الأموي والذي منع وضع الصور والتماثيل في الكنائس ، وبالتالي ةبعد ثلاث سنوات من هذا القرار اتخذ ليو قراره فذهب البعض إلى الإشارة إلى تأثر ليو بالسلمين حتي قيل أنه " مسلم من الناحية العقلية" ومنهم من يري أن ليو هدف إلى تنقية المسيحية من الشوائب وذلك تبعًا لما شعر به الأباطرة البيزنطيون من مسؤوليات دينية، وأخرون يرون أن الحرب ضد الأيقونات كانت في أساسها حرب اصلاح سياسي واجتماعي لرغبة ليو الثالث وخلفاؤه في تحرير الناس من سيطرة رجال الدين والتي كانت الأيقونات إحدى وسائلها[٢].

موقف الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) من الأيقونات:

كان قسطنطين أكثر حزمًا وصرامة في حملاته ضد الأيقونيين، فعقد مجمع ديني في مدينة هيريا على خليج البسفور سنة ٧٥٣/٧٥٤م وأقر المجلس بالإجماع بأن عبادة الصور والتماثيل تتعارض كلية مع العقيدة المسيحية، فحرموا كل الذين آمنوا بالأيقونات واعتبروهم وثنيين وأُستبدلت صور القديسين والأيقونات في الكنائس بصور ورسوم دنيوية مثل: صور الأباطرة ومناظر المعارك والصيد وسباق العربات وحاول قسطنطين تنفيذ قرارته بالقوة ومنع رسم صور المسيح عليه السلام أو تعليق صورته في كنيسة أو بيت أو حملها، وكل مخالف يُعزل من نصبه إذا كان رجل دين أو علماني، ويعاقب بتهمة معاداة الله، ويرى المؤرخون بأن الاضطهاد الذي مارسه قسطنطين لا يعادله في التاريخ سوى ما قام به الإمبراطور دقلديانوس عام ٣٠٥م، حيث أنه هدد رجال الدين بمصادرة ممتلكات الأديرة وإغلاقها وفي عهده تحولت

(١) إبراهيم علي طرخان،الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ص١٨

(٢)عبدالقادر أحمد اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٠٥- ١٠٦:جاسم صكبان، الخلافة الأموية والأيقونات، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد ٢٤(٣) ٢٠١٣،ص٧٥٨.

بعض الأديرة إلى مجرد ثكنات عسكرية أو مخازن للدولة، لدرجة أن البعض رأى أن حرب قسطنطين كانت موجهة لرجال الدين وليس للأيقونات، ومما يؤكد ذلك أنه قام بحبس وضرب وقتل عدد لا يُستهان به من الرجال البارزين، واستمر في هذه السياسة القاسية ضد الأيقونات حتي وفاته عام٧٧٥م [١].

موقف الإمبراطور ليو الرابع (٧٧٥-٧٨٠م) من الأيقونات:

عندما مات الإمبراطور قسطنطين الخامس تلاه على عرش الإمبراطورية ابنه ليو الرابع، وكان أبوه قبل موته قد استخلص منه وعدًا بأن يتبع سياسة دينية مماثلة لسياسته، وقد عمل ليو هذا أثناء حكمه القصير علي الوفاء بوعده لكنه أظهر بعض التسامح للأيقونيين بسبب تأثير زوجته إيريني الآثينية الأصل والتي كانت تميل للأيقونات، إلا أن ذلك لم يكن بالإتجاه العام لسياسيته الدينية بل أنه قبيل وفاته أتبع سياسة تبعد كل البعد عن التسامح معهم، وبدأ حركة اضطهاد شديدة ضدهم، إلا أنه توفي تاركًا على العرش طفلًا لا يتجاوز من العمر الثامنة(قسطنطين السادس) وأصبحت زوجته إيرني هي الوصية عليه[٢].

موقف الإمبراطورة إيريني (٧٨٠-٨٠٢م) من الأيقونات:

نشأت إيريني في بداية عمرها في بلاد متشبعة ومؤمنه بالأيقونات لذلك انتهت في عهدها سلسلة الاضطهادت التي تعرض لها الأيقونيين، وبدأ عهد جديد من التسامح معهم وعبادتهم، وعليه بدأت مظاهر العودة الأيقونية، وتم عقد مجلس ديني في نيقيا عام ٧٨٧م حضره ٣٥٠ أسقفًا وأعلن المجمع بطلان قرارات مجلس قسطنطين الخامس عام ٧٥٤م وإعلان هرطقة اللاأيقونيين وإعادة الأيقونات إلى سابق عهدها، وعليه إتخذت إيريني قرارات حاسمة لتنفيذ هذه القرارات فملاءت دور الحكومة بأنصارها الأيقونيين وأفرجت عن رجال الدين المستبعدين لسياستهم الأيقونية[٣].

---

(١) عبدالعزيز عنبوز، الأيقونية واللا أيقونية في بيزنطة وتأثيرها بالإسلام،مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة بن طفيل بالقنيطرة- المغرب، صعدد ٦ (٢٠٠٦)، ص٢٤١-٢٦٩، ص٢٦١-٢٦٣.

(٢) عمر كمال توفيق، الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٤-٩٥.

(٣) إبراهيم علي طرخان،الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ص٢٤

موقف أباطرة الفترة من عام(٨٠٢-٨٤٣م) من الصراع الأيقوني:

تنقسم الحركة اللاأيقونية خلال تلك الفترة إلى مرحلتين المرحلة الأولي وتمتد من ٨٠٥م إلى ٨٢٠م حكم إبانها أباطرة من أصول مختلفة وفي طليعتهم نيقفور الأول(٨٠٢-٨١١م) والذى استأنف السياسة اللاأيقونية وجاء من بعده الإمبراطور ميخائيل الأول(٨١١-٨١٣م) وتميز عهده بموادعة اللأيقونيين، وتميز عهده القصير بالهدوء في العاصمة الإمبراطورية، ثم جاء الإمبراطور ليو الخامس الأرميني(٨١٣-٨٢٠م) والذي اتبع أسلوب المراوغة بين تحطيم الإيقونات وعبادتها، وفشلت سياسيته، ثم جاء بعد ذلك الإمبراطور ميخائيل الثاني(٨٢٠-٨٢٩م) وكان متعاطفًا مع المعارضين للإيقونات، أما الإمبراطور ثيوفيلوس(٨٢٩-٨٤٣م) فنجده قد اشتط في مقاومة الأيقونات لدرجة تقربه من ليو الأيسوري وإبنه قسطنطين، حيث بدأ سياسته بإصدار قرار عام ٨٣٢م بمنع عبادة الصور ومنع كلمة " مقدس" والتي كانت تُكتب عادة بحروف من ذهب أمام كل قديس غير أن عهد ثيوفيلوس شهد المرحلة الأخيرة من الحركة اللاأيقونية، إذ انتهت بوفاته ملاحقة أنصار تقديس الإيقونات حيث أصبحت الإمبراطورية مجهدة بسبب ذلك النزاع الديني والذي استمر حوالي مائة وعشرين سنة، وبوفاة ثيوفيلوس خلفته في الحكم زوجته الإمبراطورة ثيودوا كوصية على إبنها القاصر ميخائيل الثالث(٨٤٣-٨٦٧م) والتي كان تبطن مبدأ عبادة الأيقونات وفي عهدها تم الاعتراف رسميًا بعبادة الأيقونات كجزء من مباديء الكنيسة[١].

(١) إبراهيم علي طرخان،الحركة اللاأيقونية في الدولة البيزنطية، ص٢٧-٣٠; عمر كمال توفيق، الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٤-٩٥.; عبدالعزيز عنيوز، الأيقونية واللا أيقونية في بيزنطة، ص٢٦٥-٢٦٨.

الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٥م)

باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦م)

ليو السادس (٨٨٦–٩١٢)

الإسكندر (٩١٢–٩١٣)

قسطنطين السابع (٩١٣–٩٥٩)

رومانوس الأول (٩١٩–٩٤٤)

رومانوس الثاني (٩٥٩–٩٦٣)

نقفور الثاني فوكاس (٩٦٣–٩٦٩)

يوحنا الأول (٩٦٩–٩٧٦)

باسيليوس الثاني (٩٧٦–١٠٢٥م)

قسطنطين الثامن (١٠٢٥–١٠٢٨)

رومانوس الثالث (١٠٢٨-١٠٣٤م)

ميخائيل الرابع (١٠٣٤-١٠٤١م)

ميخائيل الخامس (١٠٤١-١٠٤٢م)

ثيودورا (١٠٤٢-١٠٥٦م)

قسطنطين التاسع(١٠٤٢-١٠٥٥م)

نهاية الأسرة المقدونية (١٠٥٧م)

عصر القوة الإمبراطوري:

شـهدت الإمبراطوريـة البيزنطيـة تحـت حكـم الأبـاطرة المقـدونيين (٨٦٧-١٠٥٦م) قرنين من الزمان من الازدهار والقوة ، حتى سُمى هذا العصر بعصر الفتوة الإمبراطوري، أو عصر الغزو والتوسع . تولى عرش الإمبراطورية في عام ٨٦٧م "باسيل الأول""Basil I" [١] مؤسس هذه الأسرة وافُتتح بذلك بداية عهدٌ جديد للإمبراطورية لأسرة حملت اسم الأسرة المقدونية [٢].

جاء النصف الأول من عمر هذه الأسرة بداية لعصر جديد، حكم خلاله أربعة من الأباطرة على مدى نحو قرنين من الزمان هم: باسيل الأول المقدوني (٨٦٧-٨٨٦م) و ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) و قسطنطين السابع (٩١٣- ٩٥٩م) ورومانوس الثاني

(١) هو الإمبراطور باسيل الأول وُلد في مقدونيا ، وبالتحديد في تراقيا ، فيما بين ٨٣٠-٨٣٥م ، ثم جاء إلى القسطنطينية بحثاً عن حظه، و شغل منصب قيصر في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث السكير (٨٤٢-٨٦٧م) ونال حظوته.

Kazhdan, A.," Basil I" ,*ODB* , p.260 ; Gregory, *A History of Byzantium* , p.217.

الطريق التي ارتقى من خلاله باسيل الأول عرش الإمبراطورية كان ملتويًا، حيث وقفت بجانبه يودوكيا إنجرينا "محظية الإمبراطور ميخائيل الثالث بعدما قتل صديقه الإمبراطور، حيث طعنه وهو متغيباً عن وعيه متأثراً بالخمور، وأعلن نفسه إمبراطورًا في القصر الامبراطورى . أنظر محمود سعيد عمران، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٣ -١٣٦.

Wroth ,W.W., *Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Museum* , Elibron Classics Series ,2005,p.xiv.

تم تتويج باسيل إمبراطوراً من قِبل البطريرك فوتيوس بعد شهر من مقتل الإمبراطور ميخائيل الثالث وبالتحديد في ٢٦مايو٨٦٦م .

Grammaticus, Leo., *Leonis Grammatici Chronographia*, ed. I. Bekker, Bonn: CSHB, 1842, pp.245-7.

(2) Jenkins ,R. G ., *Byzantium: the Imperial Centuries, AD 610-1071*, Medieval Academy of America , 1987,p.183.

(٩٥٩-٩٦٣م)، نقلوا الإمبراطورية خلالها إلى طور جديد في تاريخها تميز بالقوة ، والعظمة في كافة نواحي الحياة خاصة في النواحي العسكرية والاقتصادية والحضارية. إلا أن النصف الثاني من عهد هذه الأسرة ضم أعظم أباطرتها على الإطلاق وهم : نقفور فوقاس(٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزمسكيس (٩٦٩-٩٧٦م) و باسيل الثاني (٩٧٦- ١٠٢٥م) ، حيث مثَّل العظمة الحقيقية للإمبراطورية [١]، وامتاز أباطرة هذه المرحلة بالكفاءة في الحكم والخبرة الكبيرة في الأمور الدبلوماسية، كما كانوا محاربين مرموقين، وإداريين ممتازين، دأبوا على العمل من أجل زيادة ثروة البلاد وكانوا نصيراً للحضارة الهللينية والعقيدة الأرثوذكسية[٢].

واستطاعت الإمبراطورية خلال هذه الفترة أن تفرض سيطرتها فعلياً على أسيا الصغرى، و تراقيا، وجزء من مقدونيا، وشبه جزيرة البلوبونيز، وبالأحرى امتدت حدود الإمبراطورية من نهر الدانوب شمالًا إلى بلاد الشام جنوبًا ومن جنوب إيطاليا والبحر الأدرياتى في الغرب إلى أرمينيا شرقًا [٣].

بوفاة الإمبراطور باسيل الثاني دخلت الإمبراطورية مرحلة حرجة من تاريخها. حيث تُعد الفترة ما بين وفاة الإمبراطور باسيل الثاني عام١٠٢٥م إلى وقت اعتلاء الكسيوس كومنينوس عرش الإمبراطورية عام١٠٨١م أحد أسوأ الفترات التي مرت بها الإمبراطورية منذ تأسيسها [١] ، حيث شهدت اختفاءًا تدريجيًا لكل مظاهر الرخاء

(١) محمد محمود مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) أسمت غنيم ، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، الإسكندرية ، ١٩٨٣، ص١٥٥ .

(3)Vasiliev, À., *History of The Byzantine Empire*, Vol.2 , University of Wisconsin , 1958 , pp.576-570.

(1)Chalendon ,F ., *Essai sur regne de'Alexis I Comnene(1081-1118)* , Paris , 1900,p.1.

والرفاهية التي شهدتها الإمبراطورية قبلًا. واعتلي عرش الإمبراطورية خلال هذه الفترة ثلاثة عشر إمبراطورًا هم :قسطنطين الثامن(١٠٢٥-١٠٢٨م) ورومانوس الثالث (١٠٢٨-١٠٣٤م) زوج الإمبراطورة الشرعية زوي، وميخائيل الرابع(١٠٣٤-١٠٤١م) الزوج الثاني لزوي، وميخائيل الخامس (١٠٤١-١٠٤٢م) ثم زوي وثيودورا (أبريل ١٠٤٢-يونيو ١٠٤٢م)، ثم قسطنطين الثامن وهو الزوج الثالث لزوي (١٠٤٢-١٠٥٥م) وثيودورا أخر أفراد البيت المقدوني (١٠٥٥-١٠٥٦م)[١]. ثم اعتلى إسحاق كومنينوس (١٠٥٧-١٠٥٩م) عرش الإمبراطورية، وعلى الرغم مما كان عليه من مهارة إدارية إلا أنه تنازل عن العرش لأسباب غير معروفة[٢] وبذلك لم يُكتب للبيت الكومنينى أن يؤسس في ذلك الوقت.

(١) للمزيد انظر: مصطفى محمود محمد، نسوة العرش البيزنطي في عصر أسرة كومنينوس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بقنا ٢٠١٢. الفصل الأول.

(2)Chalendon ,F ., *Essai sur regne de'Alexis I Comnene*, p.2.

أسرة دوقاس(١٠٥٩-١٠٨١م)

قسطنطين العاشر دوكاس

(١٠٥٩-١٠٦٧)

رومانوس الرابع

(١٠٦٨-١٠٧١)

ميخائيل السابع

(١٠٧١-١٠٧٨م)

نقفور الثالث

(١٠٧٨-١٠٨١)

الأحداث المهمة في عصر أسرة دوقاس:

بمجرد تنازل إسحاق كومنينوس عن العرش ورفض شقيقه يوحنا كومنينوس الجلوس عليه ،انتقلت السلطة إلى قسطنطين العاشر دوقاس(١٠٥٩-١٠٦٧) مؤسساً بذلك أسرة جديدة في تاريخ الإمبراطورية حملت اسم دوقاس[١] " ثم جاء بعد ذلك رومانوس الرابع (١٠٦٧-١٠٧١م)، وميخائيل السابع (١٠٧١-١٠٧٨م) و نيقفور بوتنياتس ١٠٧٨-١٠٨١م).

واتسم هؤلاء الحكام بوجه عام بالضعف والركون إلى حياة الترف واستنزاف موارد الدولة [٢]، الأمر الذي أدي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية خلال هذه الفترة بسبب إفراط هؤلاء الأباطرة وإسرافهم من أجل الارتقاء بالآداب والفنون، حتى أن الإمبراطور ميخائيل السابع لم يكن يهتم إلا بالمناقشات اللاهوتية[١]، واتضحت هذه الأزمة من خلال تقلص قيمة الدخل الإجمالي عن طريق المنح الملكية للأديرة وكذلك الأفراد

---

(١) دوقاس:ظهر لفظ دوقاس في منتصف القرن التاسع وبالتحديد عام ٨٥٥م، وكما كان شائعاً خلال تلك الفترة أن تتبثق أسماء العائلات من الرتب العسكرية، وليس هناك مجال للشك أن لفظ دوقاس مشتق من الرتبة العسكرية "dux "، والتي تولاها المسئولون عن المناطق العسكرية النائية، وأول قائد أطلق عليه لقب دوقاس هو مؤسس الأسرة ، وكان يسمي أوتو دوقاس O tou Doukas، ولم يكد يحل القرن الحادي عشر الميلادي حتي كان أسم دوقاس ظهر وأطلق على عائلة منفردة بذاتها ترتقي إلي شهرة قومية وأسرة ملكية.

Polemis, *The Doukai* , p.4.

في حين أن نيقفور برينيوس، يدعي أن أصل أسرة دوقاس ينحدر من سلف أسرة الامبراطور قسطنطين العظيم .

Bryennios, *Histoire*, p.67.

(٢) عبد الغنى محمود عبدالعاطى، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكسيوس كومنين(١٠٨١-١١١٨)،القاهرة ،١٩٨٣،ص،٢٩-٣٠ .

(1) Chalendon , *Alexis I Comnene*, pp.1-2.

المحتاجين ، ولقد صاحب هذا العجز في الميزانية إلى انخفاض في قيمة العملة Nomisma [١] بين عامي (١٠٤٠-١٠٨٠). [٢]

ولم يشغل هؤلاء الأباطرة إلا مؤامرات ودسائس القصر الامبراطورى، ، فعجزوا عن مسايرة المشكلات الداخلية المتفاقمة ، خاصة الصراع القائم بين الأحزاب العسكرية والمدنية، فضلًا عن أن ميل هؤلاء الحكام للحزب المدني أدى بالضرورة إلى التحول الكامل للسلطة من الطبقة العسكرية إلى المدنية، مما أسهم بدوره في تعطيل القوات المسلحة ، فصارت بيزنطة بلا دفاع في الوقت الذي كانت هناك حاجة ماسة للقوات من أجل حماية أطراف الإمبراطورية من أعداءها [٣] حيث بات الأعداء يحيطون بالإمبراطورية من كل جانب، فعلى الجانب الأوروبي كان عليها مواجهة البشناق Pechenegs [٤] و النورمان Normans [١]، هذا إلى جانب خطر

(١) **Nomisma**:كلمة تعنى العملة المعدنية ، ولكن استُخدمت علي وجه التحديد للدلالة على العملة الذهبية ،وكان يطلق عليها باللاتينية اسم صلدي Solidi .

Grierson ,P., " Nomisma",*ODB*,p.1490.

(2)Oikonomides, N .," The Role of the Byzantine State in the Economy", in: *The Economic History of Byzantium* , ed. A. E. Laiou , Dumbarton Oaks ,2008 ,pp.973-1058,esp.1030.

(3)Lundy ,E.C., *Eirene Doukaina Byzantine Empress AD 1067-1133,* M.A ,of Arts, Ottawa,1988,p.10**.**

(٤) البشناق:هم قبائل من البدو الرُحل في أسيا الصغرى، انتقلوا إلى حوض نهر الفولجا ، واشتبكوا مع الخزر والهنغاريين، واستقروا في منطقة السهل ما بين نهر الدون والدانوب، وعملوا كوسطاء تجاريين، ثم بعد ذلك تعددت طموحاتهم فقرروا الخروج للغزو، واستغلوا الضعف الذي انتاب الإمبراطورية البيزنطية وهاجموا حدودها.

Pritsak ,O.," Pechenegs " ,*ODB* , pp.1613-14.

(1) Luttwak ,E , *The Grand Strategy of the Byzantine Empire* ,Harvard , 2009 ,p. 1055

السلاجقة الأتراك المحدق بالإمبراطورية البيزنطية [١]،الذين استغلوا حالة الضعف الذي تعرضت له الإمبراطورية على أيدي هؤلاء الحكام .

وفي حقيقة الأمر؛ كانت بيزنطة واقفة مكتوفة الأيدي عاجزة عن الدفاع عن إمبراطوريتها لتدهور حال الجيش آنذاك، لذلك عملت الإمبراطورية على التغلب على هذا النقص في القوات العسكرية فوظفوا جنودًا مرتزقة من الشعوب الأجنبية مثل الروس، والترك، والبلغار، لكن هؤلاء لم يكن لديهم ولاء، وغير جديرين بالثقة مما تسبب في انهيار السيادة البيزنطية في وقت لاحق[٢] . حيث أدي تراجع القوة البيزنطية إلى تزايد أطماع هؤلاء فيها، فتقدم البشناق وتوغلوا في حدود الإمبراطورية وامتد توغلهم من نهر الدانوب حتى شواطئ نهر الدون .

وعلى الجانب الأسيوي توغلت قوة الأتراك السلاجقة[٣] في أسيا الصغرى حتى بلغت ارضروم[١] بالقرب من طرابيزون على شواطئ البحر الأسود[٢]، وقد أدركت

---

(1)Curopalatae, Ioannis. ,*Historia* ,II ,CSHB. Boon , 1839 , p. 654.; Harris ,J., *Byzantium and the Crusades* , New York ,2006, p.33.

(٢) محمد عبدالشافى المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر وحتى القرن الثاني عشر الميلاديين، دار الوفاء، الاسكندرية٢٠٠٢،ص٣٨.

أنظر أيضا :

Charanis ,P., "Cultural Diversity and the Breakdown of Byzantine Power in Asia Minor" , *DOP* 29 (1975),pp.1-20, esp.17.

(٣) زبيدة محمد عطا، الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية،ط٢، دار الأمين ،١٩٩٤ ،ص٣٥.

(١) أرضروم، عُرفت هذه المدينة عند البيزنطيين باسم "ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis" وقد عرفت بهذا الاسم تكريماً لثيودسيوس الثاني، وهي بلاد أرمينيا، وكانت تعد مركز تجاريًا هامًا ورئيسيًا بين الشرق والغرب، كما عُرفت عند العرب باسم ارزن أو أرض الروم .

Nina G. Garsoian.," Theodosioupolis " , *ODB*. p.2054.

(2)Kohn , G. C., *Dictionary of Wars*, New York , 2007, pp.95-7.

الدولة البيزنطية آنذاك شأن الخطر السلجوقي وخاصة بعد دخولهم بغداد. وفي سنة ١٠٥٥م استقبلت الإمبراطورة ثيودورا مبعوث السلطان السلجوقي طغرل بن سلجوق [١]، وسمحت بإقامة الخطبة للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في جامع القسطنطينية. [٢]

وعندما ارتقي الإمبراطور رومانوس الرابع (١٠٦٧-١٠٧١) العرش كان الخطر السلجوقي مازال قائماً، فعمل على مواجهة هذه الخطر الذي كان يهدد الإمبراطورية البيزنطية داخليا وخارجياً إلى أنه مُنى بهزيمة مفجعة على يد الأتراك السلاجقة في مانزكرت [١] عام ١٠٧١م [٢]، وتم أسره ولم يفُرج عنه إلا بعد دفع فدية كبيرة . وكان من أهم نتائج معركة مانزيكرت الآتي :

---

(١)المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة ، وهو ثالث حكام الدولة السلجوقية ، تولى الحكم في عام ١٠١٦م ، واستطاع بسط سيطرته على إيران وأجزاء من العراق –وهو أول من حمل الراية الحمراء ذات الهلال والنجمة، والذي أصبح فيما بعد علمًا لتركيا– ومدت سلطانها تحت سمعه وبصره حتى صارت أكبر قوة في العالم الإسلامي، وتوفي سنة (٤٥٥ هـ/١٠٦٣ في الري دون أن يترك ولداً يخلفه على الحكم، فشب صراع على السلطة حسمه ابن أخيه ألب أرسلان لصالحهِ، بمساعدة وزيره النابه نظام الملك.

أنظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،الجزء الثامن عشر ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١، ، ص١٠٧-١١١.

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، ج٢، تحقيق، محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٩٦م، ص، ٢٣٠ ؛ سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، القاهرة،١٩٩٣،ص٣٦٥.

(١) فايز نجيب اسكندر، موقعة ملاذ كرد وصداها في القسطنطينية "١٠٧١-١٠٧٢م"، سلسلة بحوث في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، رقم (٤) ، الإسكندرية : دار الفكر الجامعي.١٩٨٨ ، ص، ٢٠-٢١.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،ط١، بيروت، ١٩٨٧، ج٨،ص٣٨٨-٣٨٩.

١- وقع الامبراطور رومانوس في الأسر فما كان من الب ارسلان أن عامله معاملة طيبة وهو في الأسر، قبل أن يُطلق سراحه مقابل فديه باهظه بالإضافة إلى دفع جزية سنوية، وتوقيع معاهدة تنظم العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين، وفعلاً عُقدت هذه الاتفاقية وجاء فيها:

أ- إطلاق سراح الإمبراطور رومانوس لقاء فديه.

ب- تدفع الحكومة البيزنطية للحكومة السلجوقية جزية سنوية.

ج- إطلاق سراح كل الأسرى المسلمين في بلاد الروم.

د- يمد الإمبراطور البيزنطي السلطان السلجوقي بالعساكر اللازمة عند الطلب [١].

وحدث بعد ذلك نزاع على السلطة في الإمبراطورية البيزنطية وعمل المتنافسون على الاستنجاد بالقوى المناؤة ضد الإمبراطورية البيزنطية آنذاك[٢].

رغم سهولة إلقاء مسئولية الفجائع والمشكلات التي ألمت ببيزنطة على أكتاف الثلاثة عشرة إمبراطورًا الذين أعقبوا باسيل الثاني، إلا أن الأباطرة المقدونيين أنفسهم يتحملون جزءً من تبعة الإنحطاط الذي آلت إليه الإمبراطورية، حيث أدي إنغماسهم

Schevill, F., *The history of the Balkan Peninsula* ,presine,1971,p.175.

تعد معركة مانزيكرت أحد المعارك الحاسمة في تاريخ العصور الوسطى سبب هذه المعركة أن الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع وجد أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان قد استولى على أجزاء كبيرة من الإمبراطورية البيزنطية وطرد منها حكامها فقرر رومانوس خوض غمار الحرب ضد السلاجقة والتي انتصر فيها السلاجقة رغم ضخامة الجيش البيزنطي. انظر: سوسن بهجت يونس، معركة ملازكرت ودورها في فتح آسيا الصغرى وأثرها علي الأمبراطورية البيزنطية، مجلة كلية التربية، العدد الثاني ٢٠١٥، ص٣٦١-٤٠٦.

(١)سوسن بهجت يونس، معركة ملازكرت ص٣٩٢-٣٩٣.

(2)Chalendon, *Alexis I Comnene*, pp.3-4.

قي توسيع حدودهم إلى ضم أناس وشعوب متباينة أضمروا الحقد والضغينة لكل ما هو إغريقي، ونظرًا لأنهم لا يرتبطون ببعضهم بأي صلة أو قرابة أو تعاطف متبادل مع الحكومة في بيزنطة أصبحت الدولة معرضة للهجوم وللتغير الفجائي [١]، وخير مثال على ذلك أن غزو باسيل لأرمينيا أدى إلى زيادة الأحقاد والعداء بين الأرمن والإغريق ، ونرى ذلك في تيبيكون باكوريانوس Gregory Pakourianos[٢] ، مدى الضغينة التي حقناها الأرمن ضد الإغريق الأمر الذي ترتب عليه فقد السيطرة البيزنطية على أرمينيا. بالإضافة لغيرها من الشعوب التي تعرضت للغزو من قِبل الإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي أدى إلى زيادة أعداء الإمبراطورية.

ومن البداهة أن نلاحظ أن ذلك التغيير في شخص الحاكم خلال الفترة ما بين (١٠٢٥-١٠٨١م) إشارة إلى عدم الاستقرار والاستياء والاضمحلال السياسي الذي وصلت إليه الإمبراطورية وعاشت في أجوائه القلاقل في كل دروبها خلال تلك الفترة العصيبة، كذلك نستطيع القول بأن كافة أباطرة هذه المرحلة أثبتوا عجزًا عن عدم قدرتهم علي التعامل مع المشكلات الداخلية المستحكمة ، وعن تجاوز الأخطار الخارجية التي هددتهم ، وعدم قدرتهم على تخطى تلك العراقيل التي واجهتهم، حيث أن الأعداء طوقوهم من كل جانب، وهددوا شموخ الدولة وروَّعوا من تواجدها على قيد الحياة ، ومن ثم كانت الإمبراطورية البيزنطية في هذه الظروف بحاجة إلى إمبراطور شاب يستطيع بما يمتلكه من قدرات ومهارات أن ينتشل الإمبراطورية من الضعف

(1)Vasiliev , *History of Byzantine* ,p. 277.

(2)Pakourianos, *Typikon* of Gregory Pakourianos for the Monastery of the Mother of God *Petritzonitissa* in Backovo ,Trans. Robert Jordan , *BMFD*. p.558.

والوهن الذي استشرى فيها والتي تعرضت له على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأن يعيد الأمجاد الإمبراطورية.

أسرة كومنين (١٠٨١-١١٨٥م)

إليكسيوس الأول
(١٠٨١-١١١٨م)

يوحنا كومنين
(١١١٨-١١٤٣م)

مانويل كومنين
(١١٤٣-١١٨٠م)

اليكسيوس الثاني
(١١٨٠-١١٨٣م)

اندرونيكوس
(١١٨٣-١١٨٥م)

عصر أسرة كومنينوس:

هذه الأسرة من أشهر الأسر في تاريخ الإمبراطورية الطويل على الإطلاق لأنها جاءت بعد فترة التدهور والانحلال التي تعرضت لها الإمبراطورية البيزنطية في الآونة الأخيرة .

ويرجع تاريخ هذه الأسرة إلى فترة سابقة عن عام ١٠٨١م . ففي عام ١٠٥٧م انزعج كبار القادة العسكريين من المضايقات التي كانت تحدثها القوى الأهلية والمدنية، فعزموا على الانقلاب والتمرد[١]، وقرروا باتفاق جماعي إعلان إسحاق كومنينوس[٢] –أحد القادة البارزين– قيصراً للرومان [٣]، وهكذا مهد إسحاق مجداً لعائلته القادم ، ولكن بمجرد أن مر على اعتلائه العرش سنتان، بدا غير قادرًا علي تحقيق ما كان يصبوا إليه ، ونتيجة لمرضه فكر التنازل عن العرش رغم محاولات زوجته ايكاتيرينا Aikaterina [١] للضغط عليه لإثنائه عن قراره. وجاء من بعده أخيه

([1]) Psellos, *Chronographia* ,p. 230

(٢) في عام ١٠٥٧م أُختير إسحاق كومنينوس، الذي كان ينتمي لفئة الجنرالات خلفاً لميخائيل القائد المسن ، وأخذ لقب قائد الجيوش الغربية .

Bryennios ,*Histoire* .p. 79

(3) Psellos , *Choronographia* , pp.230-231.

(١) هي ابنة ملك بلغاريا فلاديستلاف " Vladisthlav " توفي عام ١١١٨م

Skylitzes , John., *A Synopsis of Byzantine History, 811-1057* ،Trans. J. Wortley , Cambridge, 2010,p.458 .

كانت قد اسُرت، من قِبل باسيل الثاني مع بقية عائلتها وذلك بعد موت والدها فلاديستلاف ، ثم تزوجت من إسحاق كومنينوس، لكن المصادر التي بين أيدينا عن " ايكاتيرينا" لا توضح ما إذا كان هذا هو اسمها الحقيقي أم اتخذت هذا الاسم بعد زواجها من إسحاق، كما كان شائعا عند زواج الأميرات الأجنبيات من العائلة الإمبراطورية في بيزنطة ، وبعد تنازل زوجها إسحاق كومنينوس عن العرش تقاعدت في دير ميريلايون "Myrelaion "، واتخذت أسم هيلينا "Helena .

يوحنا كومنينوس ، والذي كان قد أسُند إليه منصبان من أهم وأعلى المناصب في ذلك الوقت[١]، لكن سرعان ما وجد نفسه مثقلًا بمهام لا قِبل له بحملها، فتنحى هو الأخر، و حاولت زوجته آنا دالاسينا أن تدفع من همته وتشجعه وتذكره بالأخطار التي من الممكن أن تتعرض لها ممتلكاته ومصالحه، بل وعائلته ايضأ [٢]، برفض يوحنا كومنينوس، آل العرش الإمبراطوري إلى رئيس مجلس السناتو[٣] قسطنطين دوقاس[٤]. وفي عام ١٠٨١م أعلن القائد الكسيوس كومنينوس الثورة ضد الإمبراطور نيقفور بوتنياتس وأصبح بعدها إلكسيوس إمبراطورًا للدولة البيزنطية خلال الفترة من ١٠٨١-١١١٨م، ويعد هذا الإمبراطور من أعظم أباطرة بيزنط علي الإطلاق لأنه جاء بعد فترة ضعف كبيرة انتابت الإمبراطورية وكذلك شهد عصره العديد من الأحداث التاريخية المهمة إلى جانب اصلاحاته علي الصعيدين الإداري والعسكري.

الألقاب:

عندما تولى الإمبراطور "الكسيوس كومنينوس "العرش كانت الأحوال في أنحاء الإمبراطورية تزداد سوءًا على الصعيدين الداخلي والخارجي، لذلك كان عليه أن يبذل جهودا مُضنية لإعادة هيبة ومكانة الإمبراطورية البيزنطية[١]. فكان أول شيء اهتم به

Bryennios , *Histoire*, pp.74-75. ; Walsh , Ch ., *The Cult of St Katherine of Alexandria in early Medieval Europe* , Ashgate Publishing, 2007, pp.33-34.

(١) Bryennios, *Histoire* , p.79

(2) Diehl ,Ch., *Byzantine Portraits* ,Trans. H . Bell, New York ,1969 , p. 301.

(3)Diehl , *Figures Byzantines*, pp.86-84.

(٤) قسطنطين دوقاس: هو أبن أندرونيكوس الثاني من المحتمل أنه ولد في "بافلاجونيا Paphlagonia " عام ١٠٠٦م، وتولي عرش الإمبراطورية عام ١٠٥٩م .

Polemis, *The Doukai* ,pp.28-29.

(1)Ibid. p. 89.

" هو العمل على إحياء عظمة ومجد العائلة الإمبراطورية بوسائل سهلة وبسيطة ، فكان من الطبيعي والمتوقع منه كإمبراطور وعضوٍ في العائلة الإمبراطورية أن يتجاذبه الشعور بالولاء العائلي، فجعل من عائلته أعلى طبقات المجتمع البيزنطي آنذاك[١].حيث نراه قد تخير قادة الجيش، وموظفي الحكومة، بالإضافة إلى القساوسة والجند من أفراد عائلته[٢]، وكان ذلك من أجل حماية موقعه الخاص.

وقد اقترن ذلك باستحداث نظام جديد من الألقاب [٣] المرتبة بشكل هرمي تسلسلي، تبدأ بالباسيليوس" الإمبراطور" ، ويعبر كل لقب منها عن رتبة معينة ومكانة ووضع كل فرد من أفراد العائلة في البلاط الإمبراطوري [٤].

كان النظام الذي أسسه الكسيوس مركزًا وبشكل دقيق على ذكور العائلة الإمبراطورية ، فعندما تولى الكسيوس عرش الإمبراطورية ، عمل على استرضاء نيقفور ميلسينوس Nikephoros Melissenos [١] بأن يكافئه بلقب قيصر، لأن ميسيلينوس كان على وشك أن يعلن نفسه إمبراطورًا ويزحف على العاصمة عن طريق

([1])Magdalino ," Innovations in government",p.147; Neville ,A. Leonora., *Authority in Byzantine provincial society, 950-1100,* Cambridge, 2004.p.34.

([2])Laiou ,"Why Anna Komnene" , p.10.

([3])Comnene, *Alexiad*, p. 78.

([4])Oikonomides, N., 'Involution de l'organisation administrative de 1'empire byzantin au Xle Steele(1025-1118)', *TM* 6(1976), pp.125-152.,esp.128.

([١]) جنرال وارستقراطي بيزنطي ، شغل منصب الحاكم العام في دول البلقان وآسيا الصغري في عام ١٠٦٠، وبعد موقعة مانزكرت بقي مواليًا للإمبراطور ميخائيل السابع ، وتعرض للنفي بعد استيلاء نيقفور بوتنياتس على العرش الإمبراطوري ، ثم تزوج يودوكيا أخت الإمبراطور الكسيوس .

Kazhdan ,A., " Melissenos", *ODB* ,p. 1335.

الجانب الأسيوي [١]، ووافق ميسيلينوس من جانبه على هذا العرض، خاصة وأن لقب قيصر كان يلي اللقب الإمبراطوري مباشرة من حيث الأهمية ، ويحظي حامله بمكان بارز في المواكب والمآدب الإمبراطورية [٢]، إلا أن ألكسيوس عمل من ناحية أخري علي تضييق الخناق علي ميلسينوس والحيلولة دون استئثاره بالنفوذ الذي يتضمنه ذلك اللقب ، وذلك من خلال استحداث مجموعة أخرى من الألقاب ، يدُل كل منها علي رتبة ومكانة معينة في مجتمع البلاط الإمبراطوري منحها إلى مؤيديه الحقيقيين من أفراد أسرته ، فمنح أشقائه وأبنائه لقب "سيباستوكراتور Sebastokrator" [٣] الذي يوازى اللقب الإمبراطوري "باسيليوس Basilius". ثم لقب "جامبروس" "gambros"[١] ثم بعد ذلك كان اللقب بانسيباستوس سيباستوسPansebastos sebastos ، والذي مُنح إلى أبناء الأخ أو الأخت بالدم و كان هذا اللقب هو الأكثر شيوعاً وإن كان في رتبته أقل من سيباستوكراتورSebastokrator[٢].

([1])Comnene , *Alexiad* , p.78.

([2])Comnene , *Alexiad*,p.78 ; . Loud, G. A.," Anna Komnene and her Sources For The Norman of Southern Italy" ,in: *Church and chronicle in the Middle Ages*, eds. Ian N. Wood.& John Taylor& G. A. Loud, Continuum International Publishing Group, 1991,pp.41-58,esp.49.

([٣]) هو لقب اشتق من السلطة الإمبراطورية العليا أوتوكراتورAutokrator، وقد ابتكر هذا اللقب إسحاق كومنينوس شقيق الإمبراطور الكسيوس وفي عهد الأخير أصبح هذا اللقب من أعلى الألقاب الإمبراطورية، وظل استعماله حتى بعد الغزو اللاتيني للإمبراطورية البيزنطية عام ١٢٠٤م، كما استخدم هذا اللقب في بلغاريا خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

Kazhdan ,A., " Sebastokrator" , *ODB* ,p.1862.

([١]) وهو لقب يمنح للأمراء الأجانب، وأزواج بنات الإمبراطور ، أو أصهار الإمبراطور.

Magdalino, "Innovations in government",p.154.; Kazhdan ,A., "Sebastos" , *ODB* , p.1863.

([2])Hill, " Alexios Komnenos and Imperial Women",pp.40-41.

وكان من الطبيعي أن تشترك نساء العرش في هذا النظام بوصفهن أعضاء في العائلة الإمبراطورية، خاصة وأن الإمبراطور الكسيوس يدين بالولاء في توليه عرش الإمبراطورية إلى النساء، ومن ثم فقد مُنحن ألقابًا تتناسب ووضعهن ومكانتهن كنساء ينتمين للطبقة الأرستقراطية العليا، وإن كانت هذه الألقاب متفاوتة فيما بينها من حيث الأهمية، فكان اللقب الشائع للفتيات العذارى هو لقب قيساريسيا Kaisarissa [١]، حيث أُشير إلى آنا كومنينا [٢]، وماريا ابنة الإمبراطور مانويل كومنينوس بقيساريسا[٣].وقد مُنحت تلك البنات ألقابا أخرى عند زواجهن ، كما مُنح الرجال اللذين تزوجوا من بنات الكسيوس أو من بنات العائلة الإمبراطورية ألقابًا كانت بمثابة مهراً لهم، ، فكان لقب القيصر من نصيب زوج الإبنه الأولى[١] حيث تلقب به كلُ من نيقفور برينيوس زوج آنا كومنينا ورينيه مونتفرات زوج ماريا كومنينوس [٢] .

أما زوجات الأباطرة ، فقد تعددت ألقابهن ، وإن كان لقب الأوغسطا Augusta هو الأهم علي الإطلاق من حيث الدلالة علي الأهمية والنفوذ السياسي [٣]، فضلًا عن

---

(١)استُخدم هذا اللقب و بشكل فخري، للدلالة على بنات الأباطرة وأخواتهن، صاحبات الولادة الأرجوانية ؛ فنجد أن آنا كومنينا قد حملت هذا اللقب.

Johnstone ,P., *The Byzantine tradition in church embroidery* , Tiranti, 1967 , p.120.

(2) Choniates , *Annals* , p.8 .;Adam , *Princesses* , p. 209.

(3) Choniates , *Annals*, p. 145.

(1)Hill , *Imperial Women in Byzantium*,pp.99-100.

(2) Kazhdan,A., "Latins and Franks in Byzantium: Perception and Reality from the Eleventh to the Twelfth Century" in : *The Crusades from the perspective of Byzantium and the Muslim world* ,ed. A. E. Laiou, & Roy P. Mottahedeh , Dumbarton Oaks, 2001, pp.83-100, esp. 96.

(3)Smyth. C. Dion, "Behind The Mask: Empresses and Empire in Middle Byzantium" p.146.;Featherstone ,J., "Emperor and Court" in: *The Oxford*

كونه اللقب الذي احتل المرتبة الأولى في منظومة الألقاب الوظيفية والتشريفية [١] ، خاصة للنسوة الأرستقراطيات في عصر أسرة كومنينوس. ويبدو أن هذا اللقب كان خاصًا بزوجات الأباطرة [٢].

الحملة الصليبية الأولي:

الواقع أنه منذ كارثة مانزيكرت التى حلت بالدولة البيزنطية سنة ١٠٧١م وأباطرة الدولة البيزنطية لا ينقطعون في طلب النجدة من البابوية ضد السلاجقة المسلمين. من ذلك أن الإمبراطور ميخائيل السابع ألح على البابا جريجوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) في إرسال نجد سريعة لإنقاذ الإمبراطورية وأراضيها في آسيا الصغرى وهو ما رحب به البابا من إجل إزالة كافة الخلافات بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقام بارسال دعوات لملوك أوروبا وأمرائها من أجل مساعدة الدولة البيزنطية إلا أن دعوته لم تلقى قبولًا من الجانب الغربي ونفس الأمر كرره الإمبراطور ألكسيوس كومنين عندما استنجد بالبابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م) وقد نجح سفراء الإمبراطورية في إقناع البابا بأن السلاجقة لا يهددون الدولة البيزنطية وحدها وإنما يهددون المسيحية نفسها، وبالفعل فكر البابا في إستغلال الموقف لصالح البابوية وقام بعقد مجمع كليرمونت ١٠٩٥م وأرسل دعوات إلى كل ملوك وأمراء أوروبا من أجل حثهم على المشاركة في حرب ضد السلاجقة المسلمين، وقد عرض البابا أوربان

---

handbook of Byzantine studies ed .J. Elizabeth &John F. Haldon &Robin Cormack,pp.505-517,esp.505.

([1])Janet , L, N., *Courts, elites, and gendered power in the early Middle Ages*, Variorum collected studies series,N,878, Ashgate, 2007,p.304.

([2]) Ibid , p.303

الثاني – في أسلوب بلاغي جذاب– خطر السلاجقة ومدى ما تعانيه الأراضي المقدسة وحجاجها من متاعب بسبب السيطرة السلجوقية، مما يتطلب من الأوروبيين الإسراع لنجدة إخوانهم في الشرق[١].

خطبة البابا أوربان الثاني[1]

على أية حال؛ فإن الثمرة الطبيعية للدور الدعائي الكبير الذي قام به البابا هو قيام الحملة الصليبية الأولى والتي انقسمت إلى قسمين ، الأول : حملة العامة،

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، دار النهضة العربية،بيروت ٢٠٠٨: ص٨٢-٨٥ .

(١) سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس الحملات الصليبية، مكتبة العبيكان ، الرياض ١٤٢٩، ص١٨

والثاني حملة الأمراء، أما عن حملة العامة فقد ضمت بين صفوفها أعداد غفيرة من الفقراء والرجال والنساء والأطفال تحت قيادة والتر المفلس وبطرس الناس، وأثناء طريق الحملة للأراضي المقدسة كان السلب والنهب هو السلوك المعتاد من جانب الصليبيين حتى الأراضي المسيحية وسكانها المسيحيون لم تسلم منهم، ونذكر هنا على سبيل المثال المذبحة التي أحدثها الصليبيون في قرية سملين المجرية حيث قتلوا الآلاف من سكانها المسيحيين، ونفس الأمر فعلوه في أراضي الدولة البيزنطية وهو ما دفع الإمبراطور إلكسيوس كومنين إلى توجيههم الى آسيا الصغرى مباشرة لمحاربة السلاجقة، وهناك التقوا بالسلاجقة الذين فتكوا بهم وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة عند مدينة قونية وكان الفشل والاخفاق من نصيب حملة العامة[١].

مرتسم تخيلي لهزيمة حملة العامة علي يد الأتراك السلاجقة(٢)

بعد الفشل الكبير الذي مُنيت به حملة العامة كانت أوربا تستعد لإرسال حملتها المنظمة، والتي تزعمها كبار الأمراء والأقطاعيين في الغرب الأوروبي آنذاك وإن كان

---

(١) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة٢٠٠٠: ص٧١.

(2) سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس الحملات الصليبية، ص٤١

أغلبهم من فرنسا معقل الحروب الصليبية وتألفت القيادة الصليبية للحملة النظامية من الأمراء الصليبيين : الجيش الأول تكون من جودفري حاكم إقليم اللورين في فرنسا وكان يصطحب معه شقيقة بلدوين، والجيش الثاني لبوهمند النورماندي والقادم من الجنوب الإيطالي وكان معه إبن أخيه تانكرد الهوتفيلي والثالث: لريموند حاكم تولوز وبروفنسال والرابع يضم روبرت دوق نورماندیا، وسارت هذه الجموع في أوقات وطرق مختلفة إلى القسطنطنية وقد عرض الإمبراطور البيزنطي على الصليبيين المؤن والأموال ووسائل النقل والمعونة الحربية، في مقابل أن يقسموا يمين الولاء والطاعة بوصفه سيدهم الإقطاعي وأن تكون كل الأراضي التي سيستولون عليها إقطاعيات لهم منه، فأقسم معظمهم على ذلك وعبرت القوات الصليبية وزحفت في إتجاه نيقية واستسلمت الحامية السلجوقية بعد أن كان ألب أرسلان متغيبًا عنها، وكذلك بعد أن وعدهم الإمبراطور إلكسيوس بالمحافظة علي حياتهم، وتم رفع العلم الإمبراطوري البيزنطي علي أسوارها.

على أية حال استراح الصليبيون في نيقية لمدة اسبوعًا وواصلوا زحفهم والتقوا مع السلاجقة عند ضوريليوم وانتصروا انتصارًا كبيرًا عليهم واخترقوا بعدها آسيا الصغري دون أن يلقوا عدوًا سوى قلة الطعام والشراب، وقد نجحت الحملة الصليبية الأولي في تكوين عدد من الأمارات الصليبية في بلاد الشام وهي إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة بيت المقدس وإمارة طرابلس والجدير بالذكر هنا هو أن القوات الصليبية التى كانت قد أقسمت علي يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي لم تلتزم بالقسم حيث طمع كل أمير في تكوين إمارة خاصة به بعيدًا عن الأهداف الصليبية المُعلنة للحملة

منذ بدايتها حيث انفرد بلدوين شقيق الأمير جودفري بإمارة الرها، في حين استحوذ بوهمند النورماندي علي حلمه بأن يكون حاكمًا على إمارة أنطاكية، في حين حصل جود فري علي الإمارة الأهم وهي بيت المقدس والتي سرعان ما تحولت إلى مملكة نظرًا لأهميتها التاريخية والدينية والجغرافية[١].

الحملة النظامية[٢]

(١)محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية٢٠٠٠، ص٢٧-٣٤

(2) سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس الحملات الصليبية، ص٤٧.

الحملة الصليبية الثانية ١٠٤٧-١١٤٩م في عهد مانويل كومنين:

كان السبب الرئيس للحملة الصليبية الثانية هو الانتفاضة الاسلامية التي حدثت في بلاد الشام وتمكنهم من استرداد إمارة الرها مرة أخرى ، فما كان من الجانب الغربي متمثلًا في البابا " يوجين الثالث ١١٤٥-١١٥٣م" أن أرسل وفود إلى مختلف أنحاء أوروبا يدعوهم فيها لحملة صليبية جديدة من أجل الحفاظ على الكيان الصليبي في بلاد الشام من التصدع وبالفعل تم إعداد الحملة وتزعمها الملك لويس السابع(١١٣٧-١١٨٠م) ملك فرنسا وكونراد الثالث(١١٣٨-١١٥٢م) إمبراطور ألمانيا، والجدير بالذكر أن القيادة البيزنطية خلال تلك الآونة لم ترغب في تقديم الدعم للقوات الصليبية نظرًا لخداع الصليبيين وعدم وفائهم بالوعود التي قطعوها مع البيزنطيين خلال أحداث الحملة الصليبية الأولي، بل أن الدعم كاد أن يتحول إلى صراع مع الصليبين في أحيان كثيرة من أحداث الحملة الصليبية الثانية خاصة أثناء مرورهم في الأراضي البيزنطية، ونذكر هنا دور الأميرة الألمانية برتا سالزباخ زوجة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين والتي كانت شقيقة زوجة الإمبراطور كونراد الثالث إمبراطور المانيا حيث تمكنت "برتا" أن تترك بصمات واضحة في شئون الحياة السياسية في الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فعندما اشتعلت الحرب الصليبية الثانية في عام ١١٤٧م، وقادها من الجانب الألماني صهرها الإمبراطور كونراد الثالث، وكان من المقرر للحملة أن تعبُر إلى الاراضى المقدسة عن طريق القسطنطينية ، فرحت "برتا" فرحًا شديدًا بذلك ، وكان لها دور عظيم في استقبال الحملة الصليبية، ولكن كان هناك صدام ما سوف يقع بين مانويل وكونراد،لاستحالة اتفاق ادعاءات كونراد مع مطالب النموذج البيزنطي، فلم تسمح هذه الآونة بلقاء شخصي بين الطرفين، فتمكنت "برتا" بفضل جهودها أن تؤمن على الأقل العلاقات بين الطرفين بشكل يتيح المقابلة بينهم [١].

(1) Odo of Deuil. *De Profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. & tr. V.G. Berry ,New York: Norton, 1948, pp.48 ،108;Chalendon, *Jean II* ,pp. 211, 326

ولما وصل الجيش الفرنسي القسطنطينية دخلت في مباحثات دبلوماسية مع إليانور Eleonore زوجة لويس السابع ملك فرنسا، بسبب الكوارث التي أثارها المحاربون الصليبيون في آسيا الصغرى، وتبادلت معها العلاقات الطيبة بين الطرفين[١]، وعندما هُزم الإمبراطور كونراد الثالث وتراجع إلى Ephese، قامت "برتا" و مانويل بزيارة إلى كونراد، وأعادوه إلى القسطنطينية، واستقبلوه استقبالاً حافلاً[٢] .

وفي نهاية المطاب كان مصير الحملة الصليبية الثانية هو الهزيمة الفادحة علي أيدي المسلمين لدرجة أن ملك فرنسا نجا من الأسر أو القتل بأعجوبة بعد تمزق جيشه[٣].

معركة ميركيفالون ١١٧٦م:

استغل مانويل كومنين حالة التشرذم والإنقسام التي كان عليها أمراء سلاجقة الروم في محاولة لإستعادة ممتلكات إمبراطوريته منهم في آسيا الصغري فحاول إشعال نار الوقيعة بين أمراء قونية في الجنوب وأنقرة في الشمال والدانشمند أمراء قبادوقيا في الشرق، لكن قلج أرسلان أفسد مخططاته، واتجه قلج أرسلان الثاني للتوسع في أراضي بيزنطة وشجعه على ذلك انصراف مانويل كومنين للإهتمام بالأمور السياسية في أوروبا ومنها النزاع مع فريدريك باربروسا، ولكن بسبب الاعتداءات المتكررة من الجانب السلجوقي على الأراضي البيزنطي، قرر مانويل محاربتهم وتقدم مانويل بإتجاه الأراضي السلجوقية على رأس جيش كبير بلغ تعداده ١٠٠.٠٠٠ مقاتل في إتجاه قونية عاصمة السلاجقة لكن انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للجيش البيزنطي لدرجة

(1) Odo of Deuil. *De Profectione Ludovici VII in Orientem* ,p. 56

(2)Chalendon, *Jean II Comnène* , pp.211,326.

(٣)قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية،سلسلة عالم المعرفة١٩٩٠، ص١١٣.

دفعت المؤرخين إلى تشبيه المعركة بمعركة مانزيكرت ١٠٧١م نظرًا للخسائر الفادحة التي لحقت ببيزنطة في الأرواح والعتاد[١].

أسرة أنجيليوس (١١٨٥-١١٩٥)

إسحاق الثاني أنجيليوس
(١١٨٥-١١٩٥)

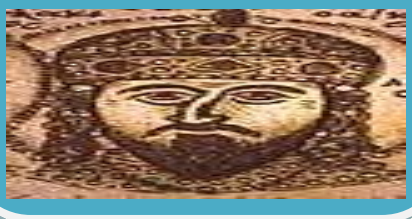

ألكسيوس الثالث
(١١٩٥-١٢٠٣)

اليكسيوس الرابع
(١٢٠٣-١٢٠٤م)

ألكسيوس الخامس
(١٢٠٤)

(١)آمال حسن عبدالحافظ، معركة ميركيفالون(٥٧١هـ/١١٧٦م) بين سلاجقة الروم والإمبراطورية البيزنطيةص٣٥٧-٤٠٢م.

الغزو اللاتيني للقسطنطينية١٢٠٤م:

في سنة ١١٩٨م، تولى كرسي البابوية البابا اينوسنت الثالث(١١٩٨-١٢١٦م) وقد وضع البابا إينوسنت نصب عينيه محو أثار الانتصارات التي حققها صلاح الدين على الصليبيين في الشرق، لذلك دعا للإعداد لحملة صليبية جديدة والتي عرفت بإسم الحملة الصليبية الرابعة وراسل إمبراطور الدولة البيزنطية أليكسيوس الثالث أنجيلوس يدعوه للمساهمة في هذه الحملة لقربه من ميدان المعركة لكن دائمًا ما كان هناك امتعاض من جانب السلطات البيزنطية تجاه المساعي الغربية بسبب الجرائم التي يرتكبوها في حق الأراضي البيزنطية، وكذلك عدم وفائهم الدائم بالوعود للإمبراطورية، علي أية حال انضم عدد كبير من الأمراء الفرنسيين وعلى رأسهم ثيبوت الرابع كونت شامبانيا الذي أخذ على عاتقه تمويل الحملة وبلدوين التاسع كونت فلاندرز وفلهاردوين مؤرخ الحملة الصليبية الرابعة وغيرهم، واستمرت الاستعدادات لهذه الحملة مدة عامين(١١٩٩-١٢٠٠م) وتم الاتفاق على أن تكون مصر هي المقصد من الحملة بوصفها زعيمة العالم الإسلامي ، وقام قادة الحملة بالإتصال بدوق البندقية " هنري داندلو" وعقدوا معه اتفاقية عام ١٢٠١م بمقتضاها تعهد بإعداد السفن اللازمة لنقل الحملة مقابل دفع ٨٥ ألف مارك، وبشرط أن تكون نصف الغنائم للبنادقة ووافق الصليبيين علي هذه الاتفاقية[١].

وجدير بالذكر أن قائد الحملة ثيبوت دوق شامبانيا توفي عام ١٢٠١م فتولى من بعده بونيفاس المونتفراتي، ووصلت الحملة إلى البندقية ولم تتمكن من دفع المبلغ المتفق عليه نظير نقل القوات الصليبية على السفن البندقية وعندها استغل داندلو

(1) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م، ص٢١٥.

الموقف وأجبرهم علي مهاجمة مدينة زارا المسيحية الخارجة عليه مقابل تأجيل دفع المبلغ وبالفعل هاجم الصليبيين زارا واستولوا عليها عام ١٢٠٢م [١].

كان المفروض أن تتجه الحملة بعد سقوط زارا إلى مصر طبقًا للخطة الموضوعة ولكنها انحرفت مرة أخرى واتجهت إلى القسطنطينية، والسبب أن ألكسيوس إبن الإمبراطور السابق إسحاق استطاع الفرار من سجنه ولجأ إلى زوج أخته فيليب السوابي إمبراطور ألمانيا وطلب مساعدته من أجل استرداد عرشه، وقد وجد فيليب السوابي في مساندته لألكسيوس وإعادته لعرشه فرصه لتحقيق أمنيته وهى احتواء عرش بيزنطة، فدبر اتصال بين ألكسيوس والصليبيين في زارا، وعرض ألكسيوس على الصليبيين مائتي ألف مارك نظير مساعدته في استرداد عرشه، وقد لاقت فكرة مهاجمة القسطنطينية تأييد من الصليبيين، بالإضافة إلى موافقة البابا نفسه والذي كان يهدف لتحقيق فكرة البابوية العالمية وتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية، ووافق البنادقة على مهاجمة القسطنطينية بدلًا من مصر خاصة وأن الملك العادل قد منحهم امتيازات كبيرة في ميناء الأسكندرية وبالتالي كان البنادقة يهدفون أن تظل علاقتهم طيبة مع مصر من أجل استمرار مصالحهم الاقتصادية[١].

عسكر الجيش الصليبي في "كورفو" لمدة ثلاثة أسابيع، ثم غادروها في ٤ مايو ١٢٠٣م، واتجهوا إلى جزيرة أندروس فاستقبلهم أهليها بالترحيب وأعلنوا خضوعهم للأمير أليكسيوس ثم واصلوا مسيرتهم حتي وصلوا إلى سانت ستفان القريبة من

(١) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، ص٢٦٣-٢٦٤.
(١) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢١٧.

القسطنطينية وبدأوا الحصار البحري علي المدينة والواقع أن معظم الصليبيين كانوا يرون هذه المدينة لأول مرة، فأُصيبوا بالدهشة لهذه المدينة ذات الأسوار العالية والأبراج التي تحيط بها من كل جانب وعندما رأى إمبراطور الدولة البيزنطية ألكسيوس الرابع حصار الصليبية حاول خطب ودهم، لكن دون جدوي وقرروا أن يظهروا الأمير ألسكيوس إلى أهالي القسطنطينية طمعًا في أن ينضموا إلى جانبه، وقام الصليبيون بعد ذلك باقتحام المدينة بعد أن قسموا جيشهم إلى سبع فرق عسكرية كبرى وبدأت معركة رهيبة في ١٧ يوليو ١٢٠٣م واستولى الصليبيون خلالها على ٢٥ برج من أبراج العاصمة، وأصر الصليبيون علي أخذ الوعد من ألكسيوس بالوفاء بوعده السابق عند اعتلائه العرش الإمبراطوري وعندما تم له الأمر عجز عن الوفاء بوعده فقرر الصليبيون حصار القسطنطينية في ٨ أبريل ١٢٠٤م واستطاعوا الاستيلاء عليها واشعلوا فيها النيران واقتسموها مع البنادقة، وتم انتخاب بلدوين التاسع إمبراطورًا على الدولة البيزنطية والذي يعد أول امبراطور لاتيني يجلس علي العرش البيزنطي ومنذ ذلك الحين سقطت القسطنطينية في أيدي العناصر الصليبية وتكونت مملكة لاتينية علي أرض بيزنطة[١].

وكان من نتائج سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م : قيام عدد من الدول والإمارات البيزنطية خارج القسطنطينية، ففي طربيزون قامت إمارة بيزنطية تُنسب إلى أسرة كومنين، وقد مدت نفوذها ليشمل الشريط الساحلي للحبر الأسود ، كذلك قام

[١] للمزيد حول هذا الموضوع انظر: اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ .

ثيودور لاسكارس صهر ألكسيوس الثالث بجمع ما تبقي من الأرستقراط البيزنطية وكبار رجال الكنيسة، وقام بتتويج نفسه إمبراطورًا عام ١٢٠٦م بالإضافة إلى إمارات بيزنطية ثانوية في جابلاس في جزيرة رودس ومانكافاس في فيلادلفيا [١].

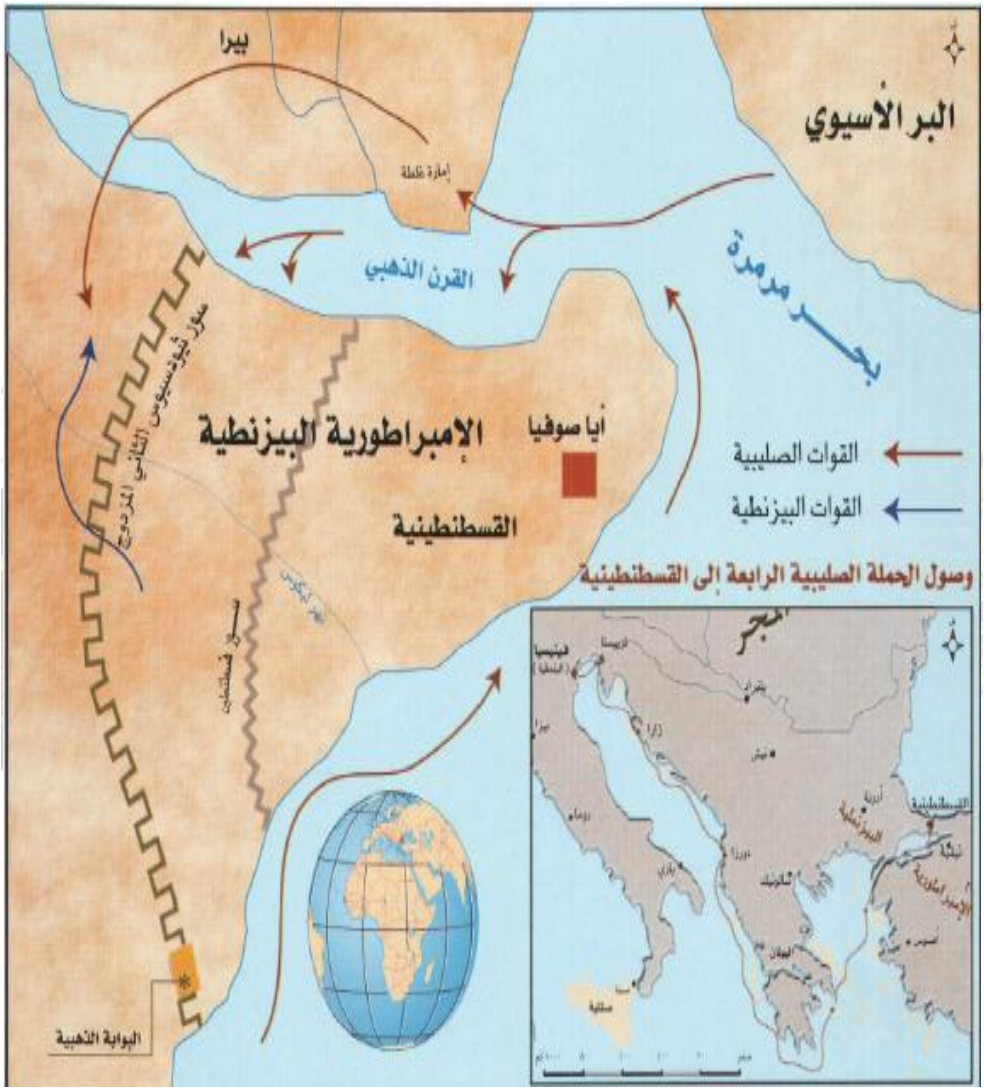

خريطة توضح وصول الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية[٢]

(1) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، ص٢٧٤.

(2) سامي بن عبدالله بن أحمد، أطلس الحملات الصليبية، ص١٤١.

الأسرة اللاسكارية في المنفي (إمبراطورية نيقية ١٢٠٤–١٢٦١م)

ثيودور الأول لاسكارس
(١٢٠٦–١٢٢٢)

يوحنا الثالث
(١٢٢٢-١٢٥٤م)

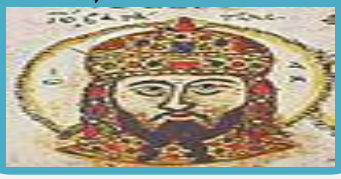

ثيودور الثاني
(١٢٥٤–١٢٥٨)

يوحنا الرابع
(١٢٥٨-١٢٦١م)

الصراع البيزنطي السلجوقي:

تجدد الصراع البيزنطي السلجوقي مرة أخري بإتخاذ ثيودور لاسكارس مدينة نيقية عاصمة له، وقد فر والد زوجة ثيودور لاسكارس وهو الإمبراطور السابق لبيزنطة ألكسيوس الثالث إلى السلطان السلجوقي يسأله أن يعاونه على استرداد عرشه المفقود وإبعاد ثيودور عن عرش نيقية ليحل محله، وقد أرسل السلطان السلجوقي يتوعد ثيودور إن لم يتنازل عن العرشه، وعليه قام السلاجقة بالتعدي علي أراضي لاسكارس ولم يرضى ثيودور بهذا التعدي واشتعلت معركة ضارية بين الطرفين عام ١٢١١م بالقرب من أنطاكية على شاطيء الميائدر وكان جيش ثيودور يتكون من عشرون ألفًا، وقد اظهروا شجاعة فائقة وانزلوا خسائر فادحة بالاتراك وقد اشتبك ثيودور مرة أخرى مع السلاجقة وتمكن من هزيمتهم ودخول انطاكية منتصرًا أما الإمبراطور السابق أليكسيوس فقد تم أسره وأُجبر علي دخول الدير[١].

(١)إسمت غنيم، إمبراطورية في المنفى ثيودور لاسكاريس وإحياء الإمبراطورية البيزنطية في نيقية، دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩١، ص١٦٥-٢٠٦، ص١٩١.

اسرة باليولوجاس(١٢٦١-١٤٥٣م)

- ميخائيل الثامن (١٢٥٨-١٢٨١م)
- (اندرونيكوس الثاني(١٢٨٢-١٣٢٨م
- اندرونيكوس الثاني(١٣٢٨-١٣٤١م)
- يوحنا الخامس واندرونيقوس الرابع ويوحنا السابع (١٣٤١-١٣٩٠م)
- مانويل الثاني (١٣٩١-١٤٢٥م)
- يوحنا الثامن (١٤٢٥-١٤٤٨م)
- قسطنطين الحادي عشر(١٤٤٨-١٤٥٣م)

سقوط القسطنطينية ونهاية الدولة البيزنطية:

سعي المسلمون منذ عهد الخلفاء الراشدين إلى فتح مدينة القسطنطينية في محاولة لتحقيق بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم والذي قال: لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش" رواه الإمام أحمد في مسنده، إلا أن هذه المحاولات لم ترتقِ لحيز التنفيذ إلا في عهد الدولة الأموية وتحديدًا عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

كان معاوية بن أبي سفيان يري أن الخطر الأكبر من وجهة نظره متمثل في الدولة البيزنطية، لذلك وبعد أن استقر الأمر لمعاوية باشر في تطوير الاسطول الحربي من أجل القدرة علي مواجة القسطنطينية بحريًا وعليه أسس معاوية دارًا للصناعة البحرية في عكا، وجمع فيها مهرة الصناع الذين استقدمهم من اليمن وسواحل الخليج العربي، وأفاد من خشب جبال بلاد الشام، ورمم ميناء صور وطرابلس، حيث كانت تُصنع فيهما السفن كما تصنع في عكا، كما أقام معاوية دارًا لصناعة السفن البحرية في جزيرة الروضة في مصر، وقد امتازت السفن الحربية الإسلامية بكبر حجمها، وتنوعها، وإمكانات استيعابها وحملها كميات كبيرة من المواد والعتاد وأعدادًا من الجند[1]

وبدأ نشاطه البحري بإرسال حملات بحرية استطلاعية؛ منها حملة فضالة بن عبيد الأنصاري ، من أجل الوقوف على تحركات الروم وجلب معلومات دقيقة عنهم ومعرفة

(1) سامى بن عبدالله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، مكتبة العبيكان، الرياض١٤٣٢هـ، ص٣٠

قدرتهم القتالية لمنعهم من استخدام جزر قبرص وأرواد ورودس ذوات الخدمة التعبوية والعسكرية في عملياتهم ضد الأسطول البحري الإسلامي، ووصلت هذه الحملة إلى مدينة خلقدونية وأفادت بإمكانية الإستيلاء على القسطنطينية وقد باشر حملاته الاستطلاعية الأخري لتحقيق ذلك الغرض [1]

وفي عام ٤٨هـ/٦٦٨م أرسل حملة أخرى بقيادة يزيد بن معاوية : ووصلت الحملة إلى مشارف العاصمة البيزنطية ودارت سلسلة من المعارك بين الجانبين، ولما تبين صعوبة فتح المدينة صدرت الأوامر إلى الجيش الإسلامي بالعودة مرة أخرى، وكان من الذين استشهدوا في هذه المعركة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري

(1)محمود شاكر التاريخ الإسلامي- العهد الأموري- الجزء الرابع، الطبعة السابعة المكتب الإسلامي بيروت ٢٠٠٠، ص٩١

حيث دفن بالقرب من أسوار القسطنطينية، وكانت هذه أول حملة على أسوار مدينة القسطنطينية ومن نتائجها فتح جزيرة أرواد التي اعتبرها الخليفة معاوية بن أبي سفيان مركزًا للإنطلاق للقوات الإسلامية ضد العاصمة البيزنطية القسطنطينية[١].

وكان الدرس المهم الذي تعلمه معاوية من هذه الحملة هو ضرورة تدعيم القوات البرية التي تغزو القسطنطينية بقوات بحرية ضخمة، وهو ما عكف عليه وأرسل حملته الثانية عام ٥٤هـ/٦٧٤م، وقد وصلت القوات الإسلامية وحاصرت القسطنطينية برًا وبحرًا واستمر الحصار لمدة سبع سنوات حتي عام ٦هـ/٦٧٩م، وعندما يأس معاوية من تحقيق هدفه قرر عقد الصلح مع الإمبراطورية البيزنطية مدته ثلاثون عامًا وانسحب بعد أن فقد العديد من الزعماء وثلاثين ألأف مقاتل ومعظم سفن الأسطول، ومن أسباب الفشل هو الإنهاك الذي تعرض له الجيش الأموي طوال سنوات الحصار والعواصف العنيفة التي دمرت القليل الذي تبقي من سفن الأسطول أثناء الإنسحاب[٢]، بالإضافة إلى استخدام البيزنطيين النار الإغريقية [٣] ضد الأسطول الإسلامي وهي عبارة عن خليط كميائي من الكبريت وكانت السفن البيزنطية تقذف بهذه النار العرب فتفتك بسفنهم وصفوفهم، ولا يطفئها الماء بل تزداد اشتعالًا، والتي كان قد توصل إليها سوري نازح إلى القسطنطينية يسمي كالينكوس، غير أن مصادر

(١) عبدالرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ، مراجعة سهيل زكار، الجزء الثاني، دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠٠، ص٢٧٠؛ أحمد رشاد، جهاد الأمة الإسلامية لفتح القسطنطينية، بيان ٢٠٢١، ص١٣.

(٢) عُلا عبدالعزيز أبوزيد، الدولة الأموية دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ-٦٦١-٧٥٠م،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٤

(٣)للمزيد حول النار الإغريقية انظر: وسام عبدالعزيز فرج ، النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري منشور ضمن كتابيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ، دوسام عبدالعزيز فرج، الطبعة الأولي ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة٢٠٠٤م ، ص١٤٣-١٥٦.

أخري ترى أن السبب في فشل العرب أمام أسوار القسطنطينية يرجع إلى موقعها الجغرافي وطبيعة التيارات المائية التي تحيط جهاتها الساحلية [1].

النار الإغريقية وحرق الأسطول الإسلامي

حصار القسطنطينية الثالث

في حقيقة الأمر أن فشل حصار القسطنطينية مرتين في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لم يصرف الدولة الأموية عن التفكير في مشروعها الكبير وهو فتح القسطنطينية، حيث أخذت تتحين الفرصة وهو ما تم في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث قام بإعداد حملة ضخمة حملة وضع أخيه مسلمة بن عبدالملك ولكن ترامت إلى مسامع بيزنطة أخبار هذه الاستعدادات فارسلت وفدًا لمفاوضة الأمويين في عقد هدنة وفي ذلك الوقت أخذت بيزنطة تستعد وتقوي جبهتها الداخلية لمواجة

(1) عبدالعظيم رمضان،الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٠١

الحملات الإسلامية وفي تلك الأثناء توفي الوليد بن عبدالملك وخلفه سليمان بن عبدالملك، وقد تابع سياسة أخيه بحماس كبير وأخذ يستعد لحملته استعدادًا كبيرا وفي ٩٨هـ بدأت تتحركة جيوش مسلمة بن عبدالملك واخترقت جيوش مسلمة آسيا الصغري وأستولى علي ساردس وبرجام، في نفس الوقت كان الأسطول العربي ينقل المقاتلين ويتوجه بهم إلى بحر مرمرة، وبعد خمسة أشهر من تتويج ليو وصلت قوات مسلمة بن عبدالملك إلى أسوار القسطنطينية وبعدها وصل الأسطول العربي إلى مياه البسفور وقد فرض مسلمة بن عبدالملك الحصار على القسطنطينية من البر والبحر وقد أراد اقتحام المدينة عنوة فنصب عليها المنجانيق الضخمة، وأخذ في مهاجمتها لكن ردته مناعة أسوارها، بالإضافة إلى توافر أدوات الدفاع مثل قاذفات النار الإغريقية، وفي تلك الأثناء توفى الخليفة سليمان وخلفه الخليفة عمر بن عبدالعزيز والذي أمر بفك الحصار عن القسطنطينة في ١٥ أغسطس ٧١٨م[١].

واستمرت المحاولة لفتح القسطنطينية حيث شهد العصر العباسي الأول حملات جهادية مكثفة ضد الدولة البيزنطية، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى القسطنطينية نفسها وتهديدها، مع أنها هزتها وأثرت علي الأحداث داخلها، وبخاصة تلك الحملة التي تمت في أيام هارون الرشيد سنة ١٩٠هـ[٢].

وقد قامت فيما بعد عدة دويلات إسلامية في آسيا الصغري كان من أهمها دولة السلاجقة التي امتد نفوذها إلى آسيا الصغرى، كما أن زعيمها ألب أرسلان استطاع هزيمة البيزنطيين كما سبق أن أشرنا في موقعة مانزيكرت١٠٧١م، وبعد ضعف الدولة

(١) عبدالعظيم رمضان،الصراع بين العرب وأوربا، ص١٠٦-١١٢.
(٢) فهد خليل زايد، عبقرية الإنتصار في المعارك وفتح الأمصار، دار يافا للنشر، عمان ٢٠١٣، ص٢٠٤.

السلجوقية الكبري ظهرت عدة دول سلجوقية، كان منها دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغري والتي استطاعت مد سلطتها إلى سواحل بحر إيجة غربًا وإضعاف الإمبراطورية البيزنطية، وفي مطلع القرن الثامن الهجري الميلادي خلف العثمانيون سلاجقة الروم وتجددت المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية[١].

جاءت البداية العثمانية في فتح القسطنطينية بداية من عهد السلطان بايزيد الصاعقة والذي تمكنت قواته من محاصرة القسطنطينية بقوة سنة٧٩٦هـ/١٣٩٣م، وأخذ السلطان يفاوض الإمبراطور البيزنطي علي تسليمها للعثمانين، ولكنه أخذ يرواغ ويماطل ويحاول طلب المساعدات الأوربية لصد الهجوم العثماني عن القسطنطينية، وفي الوقت نفسه وصلت جيوش المغول بقيادة تيمور لنك إلى داخل الأراضي العثمانية، فاضطر السلطان بايزيد لسحب قواته وفك الحصار عن القسطنطينية لمواجهة المغول، ودارت معركة أنقرة الشهيرة عام ١٤٠٢ وتم أسر السلطان العثماني وتوفي بعدها[٢]. وفي عام ١٤٢٢م وبعد أن استقرت الأحوال في الدولة العثمانية، أعاد السلطان مراد الثاني الهجوم على القسطنطينية، لكن ثورة قامت في بلاد البلقان أرغمته على رفع الحصار، وسمح للإمبراطور يوحنا الثامن أن يحكم بسلام شرط أن يدفع الجزية للعثمانيين[٣].

(١) أحمد رشاد، جهاد الأمة الإسلامية لفتح القسطنطينية، ص١٣-١٤.
(٢) إيناس حسني البهجي، الدولة العثمانية، مركز الكتاب الأكاديمي ٢٠١٧، ص١١٨
(٣) أحمد رشاد، السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية من استعادة البيزنطيين للقسطنطينية من اللاتين حتي الفتح العثماني(١٢٦١-١٤٥٣م)،دار بيان للنشر والتوزيع ٢٠٢، ص٢٧٢

آيام بيزنطة الأخيرة

الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر(١٤٤٩-١٤٥٣م)

بدأ عهده بإعلان ولاءه للسلطان العثماني مراد ولكن مراد توفي وخلفه السلطان محمد الثاني(الفاتح)١٤٥١-١٤٨١م، وبمجرد اعتلاء السلطان محمد الثاني العرش بدأ العمل لتحقيق حلم أجداده، فاستهل عهد باتفاقية مع قسطنطين الحادي عشر تعهد له فيها بعدم الاعتداء على القسطنطينية، كما عقد اتفاقيات مع سفراء بلغاريا والمجر والصرب والبندقية وجنوة، ثم توجه بعد ذلك للقضاء علي بعض الثورات ضده، وبعد أن استتب الأمن أخذ يتحين الفرصه لإعلان الحرب على بيزنطة، وإحكام الحصار حول القسطنطينية فبدأ استعداداته العسكرية بتشييد قلعة " الروملي" على الضفة الغربية للبوسفور، وعلى مسافة ستة أميال من القسطنطينية باتجاه البحر الأسود، وخلال بضعة أشهر من مارس إلى أغسطس ١٤٥٢م كان العثمانيون قد انتهوا من بناء قلعة الروملي، والتى ساهمت بشكل كبير في إحكام الحصار البحري على القسطنطينية، وحاول قسطنطين الحادي عشر اثنائه عن استكمال بناء القلعة عن طريق ارسال السفارات والهدايا نظرًا للأهمية الاستراتيجية لهذه القلعة، لكن رفض محمد الثاني الأمر الذي دفع قسطنطين الحادي عشر إلى بذل قصارى جهده في تجهيز دفاعات القسطنطينية فقام بترميم أسوار المدينة، وتشييد الأبراج، وإقامة المتاريس وأرسل للبابا نيقولا الخامس(١٤٤٧-١٤٥٠م) يطلب مساعدته وناشد الغرب الأوربي لمساعدته فلم تصل إليه سوى إمدادات بسيطة من جنوا والبندقية وكانت المساعدة الحقيقية التي وصلت إلى القسطنطينية هي وصول القائد جيوفاني جستنياني القائد العسكري الجنوي والذي جاء علي متن سفينتين حربيتين وبرفقته ٧٠٠ مقاتل ، ورحب به قسطنطين وعهد إليه مهمة الدفاع عن القسطنطينة[١].

وقد حاول العثمانيين أختراق الحدود البحرية لكن السفن البيزنطية كانت متمركز بقوة وفشل الفاتح في دخول القسطنطينة عن طريق البحر حيث كانت السفن البيزنطية

---

(١) نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م، دراسة وترجمة وتعليق د.حاتم عبدالرحمن الطحاوي، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهر ٢٠٠٢، ص٣١-٣٥.

جيدة التسلح ومحملة بالرجال والعتاد، مما أدى إلى حدوث ارتباك في الأسطول العثماني، وهنا لاحت فكرة عسكرية جديدة أمام مخيلة السلطان محمد الفاتح وهى نقل السفن العثمانية من مرساها في البسفور إلى القرن الذهبي برًا حيث قرر تسيير السفن الحربية على اليابس مسافة ٣ أميال، وقد أمر مهندسية بتغطية الأرض التى يُراد سحب السفن عليها باسطوانات من خشب الصنوبر، المدهون بالشحم حتي يمكن سحب السفن عليها، وكان عددها ما يقرب من سبعين سفينة، واختار محمد الفاتح الخفاف من السفن، وهكذا نجح العثمانيين في دخول المياة الإقليمية للقسطنطينية واستيقظ أهل القسطنطينية علي صيحات العثمانين المدوية مما أحدث رعب وفزع بين صفوف سكان القسطنطينية[١].

مواقع الجيوش العثمانية أثناء حصار القسطنطينية

نقلًا عن المعتصم بالله، جهاد العثمانيين هامش رقم(٢).

وعلي الجانب الأخر طور محمد الفاتح المدافع العثماني عن طريق الاستعانة بالمهندس المجري " أوربان" والذي تمكن من صناعة المدفع العثماني الضخم، وأخذت القوات العثمانية تقذف أسوار القطسنطينية وعندما طال الحصار عرض السلطان علي

(١)المعتصم بالله إبراهيم، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية ٧٥٥-٨٥٧هـ/١٣٥٤/١٤٥٣م، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية ١٩٨٠/ ص١٥١-١٥٥.

قسطنطين تسليم المدينة بالأمان فرفض واشتعلت الحرب مرة أخري بين الطرفين وقاوم أهل المدينة ببسالة حتي نجحت القوات العثمانية في دخول المدين عبر ثغرة في سور المدينة وسقطت على أثرها الإمبراطورية البيزنطية ودخلها السلطان محمد الفاتح في مايو ١٤٥٣م. وبسقوط القسطنطينة تنتهى تاريخيًا فترة العصور الوسطي وتبدأ مرحلة أخرى وهى التاريخ الحديث[١].

وقد تعدد الأسباب التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية البيزنطية ما بين عوامل داخلية متمثلة فيما قام بين سلالة بين باليولوجس من منافسات ومؤامرات وثورات أضرت بالبلاد، الأمر الذى أغرى أعدائها وحاولوا اقتطاع أجزاء من الأمبراطورية ،الأمر الذي أدى في النهاية إلى اضعافها، بالإضافة إلى إعتمادها علي الجند المرتزقة ضمن العناصر الأساسية التي تكون منها الجيش اليزنطي وكان لهم أطماع في الدولة البيزنطية ولذلك لم تكن خدمتهم للدولة خالصة، أضف إلى ذلك العوامل الخارجية متمثلة في البلغار والصرب والأتراك اذ اخذت دولة البلغار تضايق الإمبراطورية من القرن الثاني عشر الميلادي، وتمكنوا من التدخل في شئون الدولة أيام أسرة باليولوجس، وقاموا بغارات علي جزيرة البلقان، كل ذلك جعل الدولة البيزنطية عاجزة عن مواجهة الخطر العثماني[٢].

---

(١)محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٦٥؛ للمزيد حول هذا الموضوع انظر الدراسة القيمة: نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م، دراسة وترجمة وتعليق د.حاتم عبدالرحمن الطحاوي، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهر ٢٠٠٢

(2) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٨٢-٢٨٨.

تدريبات على الفصل الثالث

السؤال الأول بم تفسر ذلك؟

١- إنتشار عبادة الصور في المجتمع البيزنطي.

٢- فشل المحاولات الإسلامية المبكرة في فتح القسطنطينية.

السؤال الثاني: قم بقراءة العبارات الآتية وبدائل إجابات كل منها جيداً ثم ظلل الإجابة الصحيحة فقط في ورقة إجابتك

١- أول إمبراطور لاتينيى يحكم القسطنطينية هو .....

(أ.بلدوين الأول- ب.بلدوين التاسع- ج.بلدوين السابع- د.بلدوين السادس)

٢- سقطت الإمبراطورية البيزنطية على يد الأتراك العثمانين عام ١٤٥٣م في عهد السلطان .....

(أ.محمد الأول-ب. محمد الثاني-ج. محمد الثالث-محمد الرابع)

السؤال الثالث : قم بقراءة العبارات الآتية جيداً ثم اختر علامة (T) وظللها في ورقة إجابتك إذا كانت العبارة صحيحة وعلامة (F) وظللها إذا كانت العبارة خاطئة.

١- اشتعلت الحرب الأهلية في القسطنطينية عام ٣٥٠م في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير.

٢- اتخذت الإمبراطورة إيريني موقف معادي تجاه الأيقونات

الفصل الرابع
الحياة الإجتماعية

- التركيبة السكانية.
- وضع ومكانة المرأة.
- الزواج في المجتمع البيزنطي.
- الرعاية الاجتماعية

أهداف الفصل الرابع

يهدف الفصل الرابع إلي:

١- التعرف علي التركيب العرقي والعناصر الأجنبية المقيمة في القسطنطينية

٢- معرفة وضع ومكانة المرأة في المجتمع البيزنطي ونظرة المجتمع والكنيسة والقانون لها

٣- التعرف علي الزواج البيزنطي ومراسمه

التركيبة السكانية

لم تقم الإمبراطورية البيزنطية في فترات تاريخها الطويل على عرقٍ واحدٍ، بل على التعدد العرقي لسكانها، شرط التمسك بالعقيدة المسيحية الأرثوذوكسية واللغة اليونانية، فظل سكانها أخلاطًا من الناحية العرقية، حيث كانت نسبة الإغريق الخُلَص قليلة، بينما امتزجت عناصر عديدة كالآسيويين واللاتين بالدم الإغريقي، وقد شَكَّلَ سكان آسيا الصغرى – وهم خليط من عدة سلالات – العمود الفقري للإمبراطورية البيزنطية؛ فقد كانوا القوة الأساسية للإمبراطورية سواء البشرية أو الروحية، خاصة في عصر الأسرة المقدونية (٨٦٧ – ١٠٥٦م)؛ فقد جاءت القيادات الإمبراطورية والعائلات الأرستقراطية الكبيرة والقيادات الكنسية من آسيا الصغرى، بالإضافة إلى الجنود الفلاحين، أما في الجانب الأوروبي فكَثُرَ السِلاف Slavs والبلغار Bulgars واللاتين. واتبعت الحكومة الإمبراطورية في كثير من فترات تاريخها سياسة التهجير الإجبارية للعناصر الأجنبية من خارج حدودها إلى داخل أراضيها، وتوطينها في المناطق التي هجرها سكانها تحت وطأة الغزو الخارجي؛ لتعويض النقص في الأيدي العاملة التي تقوم على فلاحة الأرض دون الاكتراث لأصول مواطنيها وتعدد لغاتهم الأولى، أو لاختلاف لون بشرتهم حيث كان المجتمع البيزنطي ضم بين طياته جنسيات كثيرة كالإنجليز والروس والعرب واليهود والأرومن وغيرهم كثيرون[١].

ولم يكن حق المواطنة البيزنطية حكرًا على مجموعة عرقية أو جغرافية بعينها، فكل الرجال الأحرار كانوا مواطنين، ولم تقتصر الحقوق السياسية على حماية

---

(١)محمد زايد عبدالله،" التركيب العِرقي والطبقي للمجتمع البيزنطي"، دراسات في الحضارة البيزنطية(١)المجتمع البيزنطي ، تحرير عبدالعزيز رمضان، مصطفي الشعيني، دار الحياة، القاهرة٢٠١٧، ص٥٥-٩٣، ص٥٥-٥٦

البيزنطيين فقط ، والانضمام للنخبة البيزنطية كان متاحا أمام المجموعات العرقية الأخرى في الإمبراطورية، وكانت الحكومة في حاجة إلى مساعدة الأجانب في الجيش فضلا عن رغبتها في زيادة عدد السكان من القادمين الجدد، ونظرا إلى أنه لم يكن هناك مشاركة في السياسة العليا من الطبقة الوسطى، فإنه لم يكن هناك معارضة من زيادة عدد مواطني هذه الطبقة[١]

✍ وضع ومكانة المرأة.

لم يختلف وضع المرأة ومكانتها في المجتمع البيزنطي كثيرًا عما كان عليه النساء في العديد من المجتمعات الأبوية (الذُّكُوْرِيَّة) الأخرى . ففي هذه المجتمعات كانت الهيمنة والسيطرة فيها للرجل وتتطلب خضوع المرأة له [٢]، فهي تابعة للرجل منذ ولادتها "الأب أولاً ثم الزوج "[٣]. وفي الإمبراطورية البيزنطية اتُخذ موقف معادى تجاه المرأة[٤]، ومُورس ضدها مختلف صور الاضطهاد والعنف [٥]، وجُرَدت من كافة حقوقها ؛ إذ لم يكن لها الحق في شغل الوظائف المدنية، كما اختفي دورها الديني داخل الكنيسة [١]،

---

[١])هبه رمضان العوايدي، "الأجانب في المجتمع البيزنطي"، دراسات في الحضارة البيزنطية(١)المجتمع البيزنطي ، تحرير عبدالعزيز رمضان، مصطفي الشعيني، دار الحياة، القاهرة٢٠١٧، ص١٨٩-٢٢٣ ص١٩٠

(2) Hill , B.," Imperial Women and The Ideology of Womanhood in the Eleventh and twelfth Centuries " in : *Women .Men Eunuchs :Gender in Byzantium*, ed. L. James, New York , 1997, pp .76-99, esp.76.

؛عائشة سعيد أبو الجدايل: المرأة والسلطة في العصور الوسطى، مركز البحوث والدراسات التاريخية كلية الآداب جامعة القاهرة ، الحولية الأولى ،أبريل ٢٠٠٢،ص ١٠.

(3) Angold, M., *Church and Society in Byzantine Under The Comneni* (1081-1261), Cambridge ,1995, p.426.

(4) Hill, B., *Imperial Women in Byzantium (1025-1204)*,New York , 1999,p.14.

(5) Angold , *Church and Society* ,p.426.

(1) Karras, V., "The Liturgical Functions of Consecrated Women in Byzantine Church", *TS* 66(2005),pp.96-116,esp.96 .

الأمر الذي انعكس على تهميش وإهمال دورها ومكانتها في المجتمع في المصادر التاريخية، إما بتعمد، أو كنتيجة طبيعية لمصادر كُتبت من قِبَل الرجال . [١]

وقد اتسمت نظرة المجتمع البيزنطي للمرأة بالتناقض، نتيجة رؤيتهم المزدوجة لطبيعة المرأة، فهي في نظرهم حواء مصدر الإغواء والشرور؛ وصاحبة أول خطيئة عرفتها البشرية، عندما دفعت أدم للأكل من الشجرة المحرمة، وهي أيضا العذراء مريم أم السيد المسيح ، الأم الطاهرة النقية التي جاء ابنها ليخلص البشرية من خطاياها [٢]. وفي معظم العلاقات والنواحي كان التمييز ضد النساء لاعتبارهن أوعية للشرور والفتن[٣] وحياتهن الجنسية كانت الخطر المستمر؛ لذلك كان من الضروري أن يتم السيطرة عليهن عن طريق الزواج أو الحجاب[٤] ، كما كان يُمارس أحيانا عملية وأد البنات بالرغُم من تحريم القانونين الكنسي والمدني لذلك .[٥]

وهكذا كان المجتمع البيزنطي بطبيعته شعبًا كارهًا للتغير، ومتحفظاً بشدة في الأمور التي تتعلق بالمرأة ، ولا يقبل بتغير وضعها الطبيعي وهو خضوعها لسيادة الرجل[٦]، ويرى فيها مخلوقاً تابعاً له ، مهمته الرئيسية هي إنجاب الأطفال والبقاء في المنزل لكي يصبحن أمهات جيدات ، وحصَر أيَ أنشطة مجتمعية لهن في أعمال الصدقات الدينية والأعمال الخيرية [١].

(1) Herrin ,J.," in Search of Byzantine Women :Three Avenues of Approach" ,in : *Images of Women in Antiquity* ,ed . A. Cameron & A. Kuhrt , Routledge, 1993 , pp.167-190, esp. 167. ; Gregory ,T.E. , *A History of Byzantium*, Blackwell Publishing ,2005,p.92.

(٢) عبد العزيز رمضان،المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية،القاهرة،٢٠٠٥،ص٢١.

(3) McLachlan ,S ., *Byzantium: an Illustrated History* , New York, 2004,p.178.

(4) Angold , *Church and Society* , p.426.

(5) McLachlan , *Byzantium*,p.178.

(6) Laiou, A., "the Role of Women in Byzantine Society", *JÖP* 31/1 (1982) , pp.233-260 , esp.233.

(1) Cameron , A ., *The Byzantines* , Blackwell Publishing , 2006,p.123.

لقد كانت المرأة في المجتمع البيزنطي ضحيَّة من ضحايا التمييز الجنسي، حيث لم تشكل من الناحية السياسية والفكرية إلا "المرتبة الثانية" في المجتمع على الرغم من وجود عدد من النساء الأرستقراطيات صاحبات التأثير القوى في المجتمع البيزنطي.[١] وقد عبرت المؤرخة "آنا كومنينا" ، وهى واحدة من أبناء الطبقة الأرستقراطية ، عن نفس المفهوم الذكوري تجاه بنات جنسها موضحَّة مدى ضعفهن بقولها : "أنهن ندابات جيدات ، لقدرتهن على ذرف الدموع بسهولة، لكن الأمور الجادة لا تعنيهن، أنهن كالأواني المثقوبة لا يقدرن على كتمان السر"[٢] كما قالت عنهن : "أنهن ضُعفاء يسهل انقيادهن ودائماً ما اقترن ظهورهن بالأحداث السيئة"[٣].

وفي القرن الحادي عشر كتب كيكاومينوس[٤] "Kekaumenos" يقول عن النساء: "إنه لمن الخطر أن يكون الرجل على علاقة سيئة مع امرأة ، ومن الأخطر أن يكون صديقاً لها، خاصة إذا كانت جميلةً، لأنه سيكون عليه عندئذ أن يقاوم ثلاثة أعداء: الشيطان والظرف والكلمات الفتّانة"[٥]

وعلى ذلك ؛ كانت النظرة السائدة في المجتمع البيزنطي عن النساء أنهن كائنات دون المستوى ،غير جديرات بالثقة، ضعفاء، وأنهن عبيد لا يستحقوا شهادة العامة ، يمتلكن الجنس، ولا يمكن أن يتم السيطرة عليهن، ومن ثم فمكانهن الصحيح هو البيت[١]، بعيدًا عن أي شكل من أشكال الحياة العامة، ومنعهن من تولي أيً منصب

(1) Kazhdan ,A.," Women at Home", *DOP* 52,(1998),pp.1-17,esp.1.

(2) Bréhier, L., *La civilisation byzantine*, Paris, , 1950,p.16.

(3) Comnene , *Alexiad*, p.393.

(٤) هو مؤلف مجموعة من النصائح عرفت بـ Strategikon (الإستراتيجية) في القرن الحادي عشر، ينتمي إلى عائلة ارستقراطية عسكرية ، وتوفى في عام ١٠٧٥م للمزيد أنظر ،

Rosser , J. H ., *Historical Dictionary of Byzantium* , Scarecrow Press, 2001, p.230

(5) Bréhier, *Le civilisation*, p.16.

(1)James ,L., "The Role Women" , in : *The Oxford Handbook of Byzantine Studies*, ed. E.Jeffreys &F. John &J. Haldon ,Oxford ,2008, pp. 643-65 , esp. 644.

إداري في الدولة، أو شغل أي منصب عام، أو انخراطهن في الجيوش، وذلك راجع إلى طبيعتهن البيولوجية الضعيفة في ظل مجتمع أبوي كاره للمرأة [١].

وكانت هذه الفكرة السائدة في المجتمع آنذاك مستمدة من الكنيسة ورجالها ، بوصف المجتمع البيزنطي مجتمعًا متدينًا وأن الكنيسة بالنسبة له هي الحَكَم الرئيسي على الأخلاق العامة والخاصة، حيث كان سائدا في مجتمع الكنيسة أن المرأة أساسُ كل الشرور، وأن الكتاب المقدس نفسه أشار إلى أن الشر جاء إلى هذا العالم عن طريق حواء، وفي ذلك كتبت الراهبة" كاسيا"[٢] Kassia في إحدى قصائدها تقول:

"المـــــــــرأة آفـــــــــة حتـــى وإن كانـــت جميلـــة
لكنهـــا إن كانـــت قبيحـــة فليس لها إلا أتعس الأقدار "[٣]

(1)James, L., & Hill, B.," Women and Politics in the Byzantine Empire Imperial Women " , in : *Women in Medieval Western European Culture*, ed. L. Mitchell , New York ,1999, pp.157-178,esp.157- 60.

(٢) كاسيا من أشهر شعراء النصف الأول من القرن التاسع في عصر الإمبراطور ثيوفيلوس، وُلدت خلال الفترة من ٨٠٠م – ٨٠٥م بالقسطنطينية، وتوفت في الفترة بين ٨٤٣–٨٦٧م أنظر، Kazhdan , A.," Kassia " ,*ODB* , pp.1109-110.

(3) Reinsch , D., "Women's Literature in Byzantium ?The Case of Anna Komnene" in : *Anna Komnene and her Times* ed . Th. Gouma-Peterson , London, 2000, pp. 83-106, esp. 83.

وكان السبب وراء كتابة هذه القصيدة أن كاسيا، كانت ضمن مجموعة الفتيات اللاتي عُرضن على الإمبراطور ثيوفيلوس (٨٢٩–٨٤٢م) لاختيار أحداهن عروسًا له ، وكاد يختارها ويعطيها التفاحة الذهبية لجمالها الشديد ، ولكن ردها الجريء عليه في سؤاله لها –عندما قال : عن طريق المرأة جاءت أسوء الأشياء أشارة منه إلى خطيئة حواء فردت عليه قائلة " ومن خلال المرأة جاءت أفضل الأشياء " إشارة منها إلى فضل مريم العذراء– جعله يغير رأيه ويختار ثيودورا ، فحزنت حزنًا شديدًا ، وترهبت وأنشأت دير لها .

Miles, D. Touliatos., "Kassia" in : *New Historical Anthology of Music by Women*, ed. J. R. Briscoe, Indiana University Press, 2004, pp.6-14, esp.6.

وهكذا كانت المرأة مرفوضَة تماما من قِبل الكنيسة [١] التي رأت فيها جنسًا تابعًا للرجل، وسببًا في بلاء البشرية ، لأنها تسببت في طرده من جنات عدن[٢] . وانعكست هذه النظرة على كتابات رجال الكنيسة ؛ ففي القرن الرابع كتب بطريرك القسطنطينية يوحنا ذهبي الفم John Chrysostom [٣] ، يقول أن النساء لا يجب أن يخرجن إلا من أجل الذهاب للكنيسة، أو الحمامات[٤].وميخائيل جليكاس Michael Galyaks [٥] عرض مجموعة من الأفكار اللاهوتية عن المرأة موضحًا فيها أن الصراع بين الرجل والمرأة سيظل حتى بعد النشور والبعث ، وأن الأنثى كائن قابل للنقد، وخلُص إلى أن حياة الرجل كانت أفضل قبل خلق المرأة .[٦]

وتمدُنا لوائح تنظيم الأديرة (التيبيكا) بالعديد من المعلومات عن موقف المؤسسات الديرية تجاه المرأة [١]، حيث وقفت الأديرة أمام كلً شيء أنثوي بوصفهن بنات حواء

---

(1) Angold , *Church and Society* ,p.429.

(2) McLachlan , *Byzantium*,p.178.

(٣)أسقف القسطنطينية (٣٩٨-٤٤٤م) ولد بأنطاكية فيما بين (٣٤٠-٣٥٠م) وتوفي عام ٤٠٧م ، تلقي تعليمًا راقيًا ، وأصبح راهبًا ، وتقاعد في الصحراء ، ثم عاد إلى أنطاكية وشغل منصب أسقف عام ٣٨١م ثم وظيفة كاهن عام ٣٨٦م ، ثم أستُدعى لشغل منصب أسقف في القسطنطينية .

Baldwin,B& Kazhdan ,A& Robert S. Nelson " John Chrysostom" *ODB*, pp.1057-8.

(4) Kalavrezou, I., *Byzantine Women and their World*. New Haven: Yale University Press, 2003 , p. 146.

(٥) ميخائيل جليكاس صاحب الحوليات، عرف باسم ميخائيل سيكيديتس Michael Sikidites كان محبًا للتاريخ ،عمل في ديوان المراسلات بالقصر الإمبراطوري لمانويل الأول حتى عام ١١٥٩م وأتُهم بالهرطقة . وقد أثار العديد من المناقشات اللاهوتية حول موضوع تحول الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ، مما سبب انقسام الكنيسة أيام البطريرك يوحنا العاشر John X (كاماتيروس) أنظر: دونالد نيكول ، *معجم التراجم البيزنطية* ،ترجمة وتعليق حسن حبشي ،القاهرة،٢٠٠٣، ص ٢٢٧.

Kazhdan , A ., "Glykas Michael" , *ODB* , p.855.

(6) Angold , *Church and Society* ,p.429

(١) في القرن التاسع عبر تيبيكون ثيودور ستوديوس عن مواقفه المتشددة تجاه المرأة خوفاً من شرها، ووضع عددًا من القواعد منها:

= حظر تناول الرهبان العشاء مع النساء باستثناء الأم والأخت.

مصدر الشر الدائم، وعبرت عن خوفها من شر الاتصال الجنسي بهن؛ لذلك شددت علي حظر اقتراب النساء من أديرة الذكور حتي وإن كانت الغاية تقديم المعونات الغذائية لهن ، وإن متن جوعا؛ لأن المرأة شيطان(١)، كما لم يُسمح للمرأة بزيارة كنيسة مجاورة لدير الذكور، إلا في حالات استثنائية، كحضور الجنائز، وهذا بشرط هو أن يكن أقرباء

-حظر عقد صداقات مع النساء، أو دخولهن الدير، وحظر أي اتصال مع راهبة أو سيدة إلا في الضرورة القصوى .

-حظر إقامة السكن أو المنزل بالقرب من النساء، ونصح بإقامته في أماكن تواجد الرجال الأتقياء .

Theodore Studites*:* Testament of Theodore the Studite for the Monastery of St. John Stoudios in Constantinople ,Trans. T. Miller , *BMFD* .p. 78.

كذلك أتخذ تيبيكون دير افريجيتس"Evergetis" الذي يرجع للقرن الحادي عشر الميلادي، نفس التشدد تجاه المرأة، حيث أستثني النساء بشكل محدد من التوزيعات اليومية علي باب الدير بسبب الإغراء الجنسي الذي قد يشكلوه.

Evergetis: Typikon of Timothy for the Monastery of the Mother of God Evergetis, Trans. R. Jordan , *BMFD*. p.465.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي شدد تيبيكون دير لوقا المسيني "Luke of Messina"علي أن أي علاقة مع النساء يجب أن تكون خارج الدير.

Luke of Messina: Typikon of Luke for the Monastery of Christ Savior San Salvatore in Messina Trans. T. Miller,*BMFD*.p.640.

في حين رفض تيبيكون دير باكوريانوس "Pakourianos" دخول النساء الكنيسة المقدسة، بالإضافة لأن يكون دير النساء خارج حدود الدير.

Pakourianos*: Typikon* of Gregory Pakourianos for the Monastery of the Mother of God *Petritzonitissa* in Backovo trans. R. Jordan, *BMFD* . p.546**.**

وقد شدد تيبيكون دير بيبايا إلبيس" Bebaia Elpis" النسائي في القرن الرابع عشر، على أهمية أن يكون الخادم الذي يخدم في الكنيسة متزوجاً حتي لا يتعرض للإغراءات الجنسية .

Bebaia Elpis. Bebaia Elpis: Typikon of Theodora Synadene for the Convent of the Mother of God Bebaia Elpis in Constantinople ,Trans. A.M. Talbot, *BMFD*. p.1513.

(1) Meteora*:* Canonical Rule of Athanasios the Meteorite for the Monastery of the Transfiguration (*Metamorphosis*),trans. G.Dennis ,*BMFD*. p.1560.

للميت، أو حضور الاحتفال بعيد الدير، إذا كن أقرباء لمؤسسه [١] ، وقد أمتد تخوف المؤسسة الديرية من شر النساء إلى الحيوانات والطيور الأنثوية[٢].

وقد حرص رجال الدين على إبعاد المرأة عن جميع الوظائف المدنية والكنسية ؛ لأن معنى مزاولتها لهذه الوظائف زوال وضعها الطبيعي وهو خضوعها للرجل . ومن ثم فقد كانت فرصتها في الحصول علي العمل محدودة للغاية[٣]، فلم يكن لها أن تشغل أيً منصب كهنوتي ، ولا وظيفة كاهنة، وكذلك منصب أسقف، اعتمادا على الأنثروبولوجيا للأدوار المختلفة والغير متكافئة للجنسين، وقد قدمت الكنيسة تبريرات وتعليلات مستمدة من الكتاب المقدس لذلك الإجراء: أن هناك تحريمًا لتحدث المرأة داخل الكنيسة[٤] حيث جاء في نصيحة بولس الواردة في سفر تثنية[٥] الخاص بحظر اضطلاع المرأة بوظيفة التبشير، وقد علل رجال الكنيسة هذا التحريم بأن عمل- المرأة- في هذه الوظائف الدينية المقدسة سيكون عاملاً للسقوط والوقوع في الزلل والتجرد من النعمة الإلهية.[١]

وتبعاً لذلك حُرمت المرأة من شغل الوظائف الكهنوتية داخل الكنيسة[٢]. وذلك على الرغم من أن الوصايا التوراتية لم تكن موجهة مباشرة إلى حظر تحدث المرأة أو

---

(1) Talbot, A.M. "Women's Space in Byzantine Monasteries.", *DOP* 52 (1998) ,pp. 113-127,esp.116.

(2) Ath. Rule: Rule of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery ,trans. G. Dennis, *BMFD*. p.303.

(3) McLachlan, *Byzantium* , p.178 .

(4) Buckler ,G., "Women in Byzantine Law About 1100A.D" , *B* 11 (1936),pp. 391-416,esp.394-95.

(٥)"وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ"

أنظر : رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١١.

(1) Karras," The Liturgical Functions" ,pp.96 −97.

(2) Garland, L., "introduction" ,in : *Byzantine women Varieties of Experience 800-1200"*,ed. L. Garland, Ashgate, 2008, p. xiii.

اضطلاعها بمهام تدريس " التعاليم والمبادئ الكنسية" ، إلا أنه تم تأويلها لإقصاء المرأة تماماً عن شغل الوظائف الطقسية و الرعوية" رعية الكاهن لأبناء أبرشيته " وعن الوعظ والتبشير بين الجموع، كما حُرمت النساء من التحدث أثناء الخدمات الأكليروسية التي تتضمن أية صلوات، أو أية أناشيد دينية[١]'.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي أبدى رجل القانون الكنسي تيودور بلسامون "Theodore Balsamon"[٢] سخطه ونقمه على النساء لاعتقاده في طموح بعضهن لشغل الوظائف الكهنوتية بقوله " إنَّ النساءَ هن الخطر الحقيقي الذي يهدد نظام الكنيسة الجيد، "واختتم بلسامون تعليقاته بأنه من غير اللائق أن يحتشد الرجال مع النساء داخل الكنيسة، فالمرأة من وجهة نظره تصير مصدرًا للخطر، إذا ما اقتحمت مناطق نفوذ الرجل، و أدعت أحقيتها في ممارسة السلطة، فالنساء بنات حواء ولا يُنتظر منهن إلا الشر .[٣]

تلك هي نظرة المجتمع البيزنطي للمرأة، وهي نظرة مُتدنية تري النساء مخلوقات ضعيفة[١] ومخلوقاً تابعاً للرجل، لا ينبغي أن تتعدى وظيفتها الطبيعية داخل العائلة وإنجاب الأطفال، لأنها إذا تجاوزت هذه الوظيفة التي تتوافق و طبيعتها الأنثوية فسيؤدى ذلك إلى اختلاطها بالرجال ومن ثم إلى الخراب والهلاك، لأن النساء إذا ما امتلكن السلطة يصبحن أداة للشيطان.

---

(1) Herrin, J., "Femina Byzantine: The Council of Trullo on Women", *DOP* 46 ,(1992),pp. 97-105,esp.100.

(٢) هو تيودور بلسامون المحامى والمشرع في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وُلد في القسطنطينية ونشا بها، ثم تدرج في المناصب حتى أصبح القائم على سجلات الكنيسة الكبرى وأمين مكتبتها عُين بطرياركا لانطاكيه عام ١١٩٠م. أنظر ، دونالد نيكول، معجم التراجم، ص٢٠٥-٢٠٦. وأيضا أنظر،

Rosser, *HDB* ,pp.47−8 .

(3) Angold , *Church and Society* , p.430.

(1) McLachlan , *Byzantium*, p. 178.

وقد استبعَد القانون البيزنطي المرأة تماما من الحياة العامة، وحظر ممارستها لأية وظيفة سواء في الحياة العامة أو الوظائف الخاصة بالحكومة المركزية وإدارة الأقاليم ، أو شغلها الوظائف المدنية كالقضاة والمحامين والصيارفة [١]. كما حظر عليها المثول أمام المحكمة للشهادة ، أو التصرف في ثروة العائلة، وعمل القانون على حرمان النساء من دورهن القانوني وفي الشهادة القانونية ، ففي رواية للإمبراطور ليو السادس(٨٨٦-٩١٢م) حول أسباب حرمانهن:

- أن حضور المرأة في المحكمة هو نوع من التعدي علي الشئون الخاصة بالرجل، ومن ثم إهانته .
- أنه من غير اللائق أن تظهر في المحكمة معرضِة نفسها لنظرات الرجال المحدقة [٢].

وعلي ذلك كان على المرأة في ظل مجتمع أبوي علي هذه الشاكلة أن تعتمد في أغلب الأحيان على رجال عائلتها لتمثيلها أمام المحاكم [٣]، حيث كانت الحياة القانونية للمرأة محدودة للغاية ومقيدة. و على الرغَم من كل هذا التعنت فقد تمتعت المرأة بحماية القانون خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين [٤]، فاعترف بحقوقها الأسرية فيما يتعلق بأمور الزواج (الزواج والطلاق وترتيباتهما المالية) [١]،إذ كان من حقها الدفاع عن مهرها الخاص سواء أكان تحت ملكيتها

(١) عبد العزيز رمضان، *المرأة والمجتمع* ، ص٣١-٣٢.

(2) Angold, *Church and society* ,p.429.

(3)Mitchell , L., Family life in the Middle Ages , congress, Greenwood,2007,p.55

(4) Buckler ,"Women in Byzantine Law" , p.393.

(1) Garland ,L.,"the Life and Ideology of Byzantine Women: A Further Note on Conventions of Behavior and social Reality as Reflected in Eleventh and Twelfth Centuries Historical Sources",*B*59,1988,pp.361-393,esp.365.; Laiou., A, "the Role Of Women"p.233-34.

الخاصة، أو إن كان يُدار من قِبل زوجها، وإذا ماتت تنتقل ملكية مهرها إلى أطفالها.[١] فالحقوق الزوجية وافقت عليها الكنيسة واعترف القانون المدني بها.[٢]

ورغم هذه النظرة تجاه المرأة إلا أن دورها لم يكن معدوما تماما داخل المجتمع البيزنطي، فككاومينوس Kekaumenos ، رغم كونه أحد دعاة عزل وحجب المرأة، أعترف بحقها في توجيه العائلة ورعايتها [٣].إلى جانب ذلك ؛ فقد عملت المرأة في العديد من المِهن التي تتوافق وطبيعتها الأنثوية ؛ في الحقول الزراعية، والأسواق، وصناعة الغزل والنسيج والحرير[٤]، ودكاكين التجارة ، و الفلاحة، وتجارة التجزئة [٥]. واشتغلت المرأة أيضا كقابلة، ومُرضعة، وخادمة في القصور الإمبراطورية، كما شاركت في الحياة الرهبانية والتي كانت عوضا عن الحياة الزوجية في بيزنطة [٦]، وشاركت داخل الأديرة في جماعة التراتيل الدينية [١].هذا بالإضافة إلى عملها كممرضة، وطبيبة، حيث يشير تيبيكون دير "بانتوكراتور" إلى اعتماده على النساء

---

(١) للمزيد عن وضع و حقوق المرأة القانوني في الامبراطورية البيزنطية أنظر علية الجنزورى، المرأة في الحضارة ،ص٢١٤-٢٢٨. وأنظر أيضاً :

Beaucamp, J., "La situation juridique de la femme a Byzance, Xe-Xile, siecles ",*CCM* 20,(1977),pp.145-176.

(2) Rautman ,M ,L., *Daily life in the Byzantine Empire,* congress, Greenwood, 2006, p.39.

(3) Laiou , "The Role of Women" , p.243.

(4) Kahn , Ch ., *World History: Societies of the Past* , Portage & Main Press, Canada ,2005, p.167.

(5) Shepard ,J ., *The Cambridge History of The Byzantine Empire, c.* 500–1492, Cambridge,2008,p.66; Laiou ,A., *The Byzantine Econo*my, Cambridge , 2007,p.127-129.; Cameron ,A., *the Byzantines*,p.123.

(6) Laiou ,A.," Addendum to the Report on the Role of Women in Byzantine Society", *JÖP* 32/1,(1982)pp.198-203, esp. 198-9.

(1) Ann Kirk , M., *Women of Bible lands: a Pilgrimage to Compassion and Wisdom* , Liturgical Press, 2004 , p. 132.

فـي المستشـفى المرتبطـة بالـدير[١]، كـذلك مارسـت النسـاء عـدداً مـن الوظـائف سـيئة السمعة كالبغايا والراقصات[٢].

٢- المــرأة والســلطـة :-

إذا كان المجتمع البيزنطي على هذه الشاكلة، مجتمعاً أبوياً يدعو إلى تهميش دور المرأة وعزلها عن المجتمع . فكيف استطاعت المرأة أن تضطلع بدور ما في الحياة السياسية والاجتماعية للإمبراطورية ؟ وما هي المسوغات التي أتاحت لها ذلك، وما هو موقف هذا المجتمع من اضطلاعها بمثل هذا الدور ؟

والإجابة عن هذه التساؤلات تكمن في تفرد وضع نسوة العرش في الإمبراطورية البيزنطية، وهو الوضع الذي أتاح لهن فرصة الإفلات من الأيديولوجية الذكورية التي فرضها المجتمع عليهن . فممارسة أولئك النسوة للسلطة والسياسة اقترن بصلتهن بالعائلة الإمبراطورية [٣]، بمعني أنهن مارسن سلطاتهن ونفوذهن من خلال الأباطرة الذكور و بإسمهم، سواءً كن أمهات، أو زوجات، أو بنات، أو أخوات لهم[٤]. فظهر مصطلح المرأة الإمبراطورية بشكل بارز خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر

(1) Pantokrator*:* Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ *Pantokrator* in Constantinople ,trans. R. Jordan,*BMFD*,p.734.

(٢) للمزيد عن دور المرأة في الحياة العامة أنظر ، عبد العزيز رمضان المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية ، ص٦٩-١٣٠.

(3) James , "The Role Women" , p.648.

(٤)ستيفن رانسيمان ،الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٢،ص ٧٢.

الميلاديين[١]. وبالتالي فإن درجة قرابة المرأة للإمبراطور منحتها فرصةً عظيمةً من ممارسة السلطة والدخول إلى معترك الحياة السياسية .

✍ الزواج في المجتمع البيزنطي.

كان الزواج في العقلية البيزنطية المسيحية رباطًا روحيًا يربط رجلًا وامرأة [٢]، بحيث يكون كل منهما مساوياً ومكملًا للأخر ، حيث جاء في سفر التكوين : "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونا جسدًا واحدًا [٣]"، ولم يكن الزواج مجرد عقد بين الطرفين، بل رباط بين عائلتين تجمعهم به علاقات اجتماعية واقتصادية وربما سياسية، كما أن الأطفال الناتجين عن هذا الزواج تربطهم علاقة الدم والإرث مع عائلتي أبيهم وأمهم [٤]، وهو أيضا علاقة أبدية غير قابلة للذوبان لا يتم خرقها إلا بالموت أو الطلاق [٥]، وهذا ما يعبر عن وحدوية الزواج المسيحي[١]، بمعنى أن الزوج والزوجة يُكمل كلُ منهما الأخر، ويذوبا في كيان واحد من التفاهم والمحبة [٢].

---

(1)Neville, L., "Strong Women and Their Husband in Byzantine Historiography " in: *Byzantine World* ,ed. P. Stephenson Routledge,2010.pp.72-82,esp. 72.

(٢) عرف الزواج في الكتاب المقدس بالعديد من المسميات : نظام الهي سفر التكوين ٢٨:١ وشركة طاهرة سفر التكوين ١٨:٢ ويؤدى إلى بقاء الجنس البشرى سفر التكوين ١:٩ .

(٣) سفر التكوين: ٢٤:٢.

(٤) عبد العزيز رمضان ،*المرأة والمجتمع*،ص١٣٩.

(٥) كان من الممكن أن تنفصم العلاقة الزوجية بالطلاق حتى عام ٥٤٢م، بين الزوجين بدون إبداء أسباب جوهرية، لكن منع جستنيان الطلاق في عام ٥٤٢م، استنادًا إلى رأى الكنيسة بالإجماع، وفي ٥٥٦م شُرع قانون يتيح الطلاق على شرط إرسال الزوجين إلى أحد الأديرة طيلة حياتهم، وتقسم ممتلكاتهم كالاتى : ثلث للدير وثلثين لأولادهما، وإن لم يكن لهم أولاد فالثلثين للدير والأخر للأقارب وإن لم يكن لهم أقارب فكل الممتلكات للدير، وقد أبُيح الطلاق للأسباب الآتية، الزنا، القتل، أعمال السحر، الخطف، السرقة، الاعتداء على حياة الآخرين، ومن ناحية الرجل عند ارتباطه بامرأة ذلت سلوك مُشين، في حضور زوجته، أو الذي يهجر زوجته لمدة ثلاث سنوات، أما في حالة المرأة فضحكها أو مزاحها مع رجال آخرين، وقد أضاف جستنيان إلى ذلك استحمامها مع رجال آخرين، أو شرب الخمور.

وهذا يعني أن رباط الزواج يجب أن يدوم بين الرجل والمرأة في محبة الله ومخافته ، وينبغي على الرجل ألاَ ينظر لزوجته بأنها أدنى منه مرتبة أو أنها جارية خُلقت للمتعة الجسدية والخدمة المنزلية فقط، فهي نصفه الآخر الذي يكمله ويجب عليه أن يحافظ عليه محافظة تامة كما يحافظ على نفسه ، ويحبه كما يحب نفسه تماما، وينبغي على المرأة أن تحافظ على زوجها كما تحافظ على نفسها وتحبه وتحترمه وتحافظ على قدسية الزواج.

ولما كان الزواج مؤسسة اجتماعية كبرى، بين الزوجين وعائلاتهما، فضلًا عن أهميته الاجتماعية ، وما يترتب عليه من مصالح اجتماعية واقتصادية وسياسية، حرصت الدولة والكنيسة، على فرض الإشراف الكامل عليه ، حيث كان عقد الزواج خلال العقود الأولى من عمر الإمبراطورية وحتى نهاية القرن التاسع يعتبر شرعياً إذا تم إبرامه وفقًا للقانون المدني، ولم يكن تدخل الكنيسة أمرًا ضرورياً [٣] .

للمزيد أنظر علية الجنزورى، المرأة في الحضارة، ص ٢١٨-٢٢٠.

Martos ,J & Hégy, P., *Catholic Divorce: The Deception of Annulments* Continuum International Publishing Group , 2006,p.117.

ويضاف إلى أسباب الطلاق أيضا الإصابة بمرض الجذام، والعجز ، أو الجنون، وعند الطلاق يحتفظ الرجل بهدية الزواج بينما تحتفظ المرأة بمهرها .

Rautman , *Daily life in the Byzantine Empire*, p. 42.

(1)Meyendorff, J., *Byzantine theology: historical trends and doctrinal themes*, Fordham Univ, Press, 1987,p.89.

(٢) متى ١٩:٦ "عندما يتزوج رجل بامرأة فإنهما "ليسا في ما بعد اثنين بل جسد واحد".

(٣) عبدالعزيز رمضان، *المرأة والمجتمع*،ص ١٣٩.

ونجد أن كلاً من ""Kekaumenos والشاعر ديجنيتيس اكريتيس قد أكدا على أهمية الزواج في المجتمع البيزنطي، وأهملا دور الكنيسة فيه، حيث لم يكن للكنيسة رقابة فعالة على الزواج في المجتمع البيزنطي، ولكن بذلت محاولات جادة من قِبل أباء الكنيسة المتعاقبين من أجل إصدار قانون للزواج يكون تحت رقابة فعالة من جانب الكنيسة.

Angold , *Church and Society*,p.404.

ومع ذلك سعي الأباطرة في قوانينهم المدنية منذ وقت قسطنطين الكبير ، إلى الأخذ بوجهة نظر الكنيسة في الزواج ، ثم جاءت تشريعات ليو السادس(٨٨٦-٩١٢م) وحاولت المواءمة بين التقاليد الرومانية القديمة واحتياجات المجتمع المسيحي ، ورغم أن أحكامه ظلت مستمدة من القانون المدني ، إلا أنه جعل مشاركة الكنيسة أمرًا ضروريًا في طقوس الزواج لاكتمال صحته ، ومنذ ذلك الحين باتت حفلات الزفاف تتم في الكنيسة ، وصارت مباركة الكنيسة أمرًا ضروريًا لشرعية الزواج [١].

وقد جاء القانون البيزنطي مشابهًا للقانون الكنسي الغربي المسيحي فيما يتعلق بتحريم زواج الأقارب [٢]، وحُددت درجة القرابة حسب درجة الدم وشمل التحريم : (الأب –الأم –الابن–الابنة –الجد–الجدة–الأخوة –الأخوات–أباء وأمهات الأجداد–الأعمام –الأخوال–الخالات –أبناء وبنات الأخوال، إخوة وأخوات الأجداد–أحفاد الإخوة والأخوات، أبناء وبنات العمومة والأخوال للآباء [٣].

وعلى مقياس القيم الأخلاقية البيزنطية، احتلت العذارى مكانة أعلي من الزواج الشرعي، لاعتباره نوعاً من الزواج، وذلك لأن أولئك العذارى يعلنَا عروساً للسيد

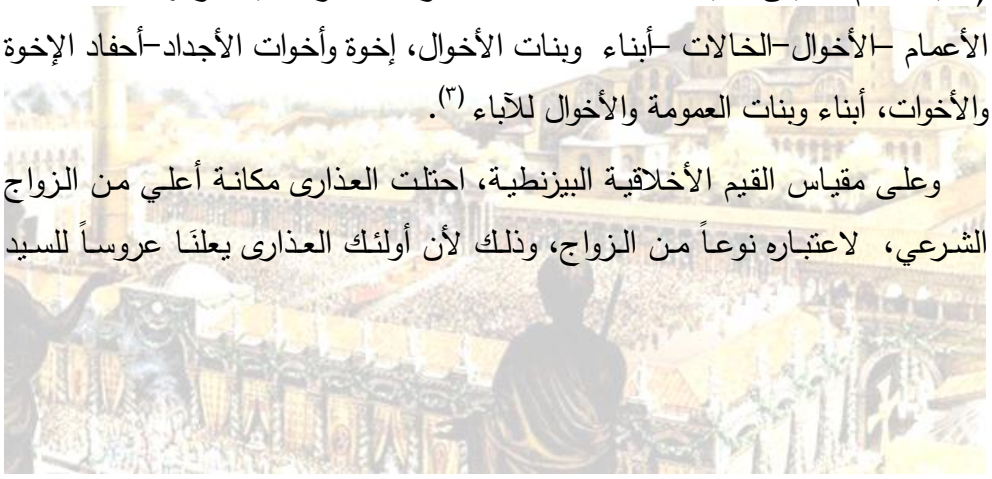

(1) Ibid,p.405.

(٢) في البداية كان زواج الأقارب شائعاً، خاصة بين أعضاء الطبقة الأرستقراطية، ولم يكن هذا الزواج شائع بين العالم القديم والإمبراطورية الرومانية القديمة فحسب، بل كان شائعاً بين جميع مجتمعات العصور الوسطى على مختلف ثقافاتهم وطبقاتهم، خاصة العصور الوسطى المبكرة، وذلك من أجل الحفاظ على ممتلكات الأسرة من التعرض لخطر التقسيم فكان زواج الأقارب يصب في المرحلة الأولى لمصلحة العائلة، خاصة زواج أبناء الأعمام وبنات الأعمام . =

Mitchell, *Family life in the Middle Ages*,p.55;Herlong ,M.W., *Kinship and Social Mobility in Byzantium* ,Ph.D. Dissertation ,Faculty of the School of Arts and sciences ,the catholic university of America m Washington, D.C, 1987,p.19.

(3) Laiou, *Mariage* ,p.13.

المسيح[١]، وكان الغرض الرئيسي من الزواج هو الإنجاب، وتقييد الدافع الجنسي، وتجنب الزنا.

وبالنسبة لمعظم فتيات الإمبراطورية البيزنطية على اختلاف طبقاتهن، كانت مرحلة طفولتهن تنتهي بمجرد بلوغِهن، وكان الزواج المبكر قاعدة أساسية في بيزنطة، حيث كانت البنات يتزوجن في سن مبكر نظراً لارتفاع معدل الموت الجماعي عند الأطفال، و انخفاض متوسط الأعمار خلال فترة العصور الوسطي [٢] . وكان البديل الوحيد للفتيات عن الزواج خلال تلك الفترة هو إلتحاقهن بأحد الأديرة[٣] . وكانت الخطبة المبكرة عادة عندهم، فنجد أن آنا كومنينا خُطبت منذ صغرها إلى قسطنطين دوقاس ابن ماريا الآلانية وميخائيل السابع دوقاس، وقد حدد الإمبراطور الكسيوس كومنينوس سن الزواج باثني عشر عاماً بالنسبة للفتيات، وأربعة عشر عاماً بالنسبة للذكور[٤].

وقد رتُبت الزيجات من قِبل أباء العروسين، حيث كانت موافقتهم شرطًا أساسيًا لإتمام الزواج [٥]، وكانت الخطوبة في البداية تشمل هدية يقدمها أهل العريس، و تقترن بعقد رسمي لضمان جدية عملية الارتباط . وفي حالة إذا ما أراد أهل الفتاة إنهاء الارتباط كان عليهم أن يردوا الهدية إلى العريس، أما إذا حدث العكس وأراد أهل العريس أن ينهوا الإرتباط فيجوز للفتاة عدم رد الهدية [٦]. وعند الزواج كان يتم الاتفاق بين أهال العروسين علي " المهر وهدية الزواج التي يعطيها العريس إلى

(1) Kazhdan, A. ,"Byzantine Hagiography and Sex in The Fifth To Twelfth Centuries" in : *Greek Literature : Greek literature in the Byzantine period* ,ed. Gregory Nagy,V,9, Routledge, 2001,pp.245-257,esp.246.

(2) Laiou , "The Role Of Women , p. 236.

(3)Talbot , "Women" ,p.121.

(4) Karlin -Hayter ,p., "Further Notes On Byzantine Marriage Raptus -ἁρπαγή or μνηστεῖαι? , *DOP*,46,Homo Byzantinus : Papers In Honor Of Alexander Kazdan,1992,p.153.

(5) Beaucamp,J.,"La Situation Juridique de la famme a Byzance ", Cah CM , V.20,1977,p.160.

(6)Cavallo, *Byzantines*,p.122.

عروسه في صبيحة يوم الزفاف ، وأجزاء متعلقة بممتلكات الأسرة التي ستؤول للزوجة عند موت زوجها، وكان يحضر هذه الاتفاقات ويتم توقيع عقد قانوني يوقع عليه أهل العروسين يحضره ثلاثة من الشهود تأكيداً على مشروعيته وصحته [١]. وكان العقد القانوني للزواج أقوي من مراسم الزواج نفسه [٢].

الرعاية الاجتماعية

كانت الإمبراطورية "دولةً مكرسة للعمل الخيري" وكان البيزنطيون مهتمين كثيرًا بالفضائل: كالعدالة، والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري، والأعمال الإنسانية بشكل عام، وهو ما يعبر عن فلسفة المجتمع البيزنطي تجاه أعمال الخير والإحسان; تلك الفلسفة المستمدة من تعاليم الكتاب المقدس ورجال الكنيسة، بوصف المجتمع البيزنطي مجتمعًا متدينًا وأن الكنيسة بالنسبة له هى الحكم الرئيس على الأخلاق العامة والخاصة، وعليه سعي الأباطرة دائمًا بوصفهم خلفاء للرب على الأرض، إلى التأكيد على هذه الروح الاجتماعية الطيبة، وحس المواطنين على التفاني وحب الآخر، سعيًا للخلاص الأبدي للفرد والمجتمع ككل.

(1)Mitchell , *Family life in the Middle Ages* ,p.54

(٢) ينُص عقد الزواج على موافقة أهل العروسين، وبعد الموافقة يتم التعاقد، وكان العقد كتابي، ويتم إحضار ثلاثة من الشهود من أجل توثيق العقد، الذي كُتبت فيه الترتيبات الخاصة بالملكية، ونص أيضا العقد أنه في حالة وفاة الزوج قبل الزوجة تؤول سلطة العائلة وملكيتها للزوجة ويكون لها حق السيطرة فيها، حيث كان العقد القانوني تتويجاً لمفاوضات الزواج .

Mitchell, *Family life in the Middle Ages* ,p. 54.

وكان على الزوج أن يحافظ على مهر زوجته سليم، كما كان عليه أن يحافظ على ربع تركته، حتى إذا ما مات قبل زوجته تنتقل إلى أرملته، كما كان للمرأة الأرملة التي تُبدد ممتلكاتها عن طريق زوجها، أن تسعى لاسترداد ممتلكاتها من أسرة زوجها الراحل .

Mitchell, *Family life in the Middle Ages* ,p.55.

وانطلاقًا من روح العمل الخيرى المسيحي تلك، أظهر البيزنطيون اهتمامًا خاصًا بفئات المجتمع الضعيفة، كالأيتام والمعوزين وذوي الاحتياجات، الذين خُصصت لرعايتهم وإيوائهم دور خاصة، غالبًا ما كانت تدار بواسطة الأديرة[١].

وهكذا كان العمل الخيري كفضيلة في مفهومه الأيديولوجي وفي تطبيقه الفعلى يتماشي مع المثل المسيحية التي تشبَّع بها المجتمع البيزنطي. وقد تم الترويج له والحث عليه من قِبل الأساقفة والبطاركة في الطقوس التقليدية للكنيسة الأرثوذكسية منذ وقت مبكر من عمر الإمبراطورية البيزنطية، وتجلى بوضوح في التعاليم الآبائية للكنيسة، بوصفه سبيلاً أساسياً لتكوين إمبراطورية تخشى الرب [٢].

([1])Herrin, J.,"Ideals of charity, realities of welfare: The philanthropic activity of the Byzantine Church", In: R. Morris, ed., *Church and People in Byzantium* (Birmingham: 1990),pp. 154 — 66, esp.154-155; L.W. Countryman, *The rich Christian in the church of the early empire: Contradiction and accommodations* (New York: 1980), esp. 103-30.

([٢]) جاء في الكتاب المقدس دعوة إلى الرحمة والتراحم بين الناس: مثل" مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ" سفر الأمثال (١٩ :١٧) ، وجاء في إنجيل لوقا" كونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم "(إنجيل لوقا: ٦ :٣٦) "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ"(إنجيل متي: ٥: ٧)، فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ (رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية اصحاح ٦:٩). وقد وردت إشارات كثيرة تحث على العمل الخيري ترددت صداها في كتابات آباء الكنيسة، منها على سبيل المثال لا الحصر: وصف كليمنت الكسندري (حوالي ١٥٠ – ٢١٥) للعمل الخيري بأنه أعظم صفات الرب.

Clement of Alexandria. Paedagogus (The Instructor). *The Ante-Nicene Fathers (Grand Rapids*, Mich.: Erdmann's, 1951), vol. II, p. 228;Caner, Daniel, "Charitable Ministrations (Diakoniai), Monasticism, and the Social Aesthetic of Sixth-Century Byzantium"In: *Charity and Giving in Monotheistic Religions*, edited by Miriam Frenkel and Yaakov Lev,(Berlin, Germany: Walter de Gruyter: 2009),pp.45-73, esp.47-48.

وذكر يوحنا ماكجوين John A. McGuckin أن غوريغوري النازيانزي Gregory of Nazianzus (٣٢٩–٣٩٠م) يُقدم في خطبه عن الفقراء والمحتاجين تعليماً مؤداه أن مرضي "البرص" في عصره لم يتركهم الرب، لكنهم كانوا أهدافًا للرحمة الإلهية، واستُخدموا كوسائل مساعدة للإنسان لتعلم شخصية الرحمة من الرب، وكان غوريغوري دائم الحث على فعل الخيرات للتدرب على هذه الرياضة الروحية، ومن أقواله "إن البؤساء والمرضي أيقونات من الرب، يجب على الجميع مساعدتهم، كواجب أخلاقي للعبادة الحقيقية، حتى لا تفسد أيقونات الرب.

John A. McGuckin ,"Embodying the New Society: The Byzantine Christian Instinct of Philanthropy." In: *Philanthropy and Social Compassion in Eastern Orthodox Tradition*, ed.M.Pereira, (New York: 2009), pp.50-71,esp.51.

للمزيد انظر:

Brown, P.,*Power and Persuasion in Late Antiquity: Towards a Christian Empire* (Madison, Wis: 1992),pp. 71 – 117 , esp.77;V.K. McCarty," "Following the Command of Christ: Philanthropy as an Imperial Female Virtue" In: *Philanthropy and Social Compassion in Eastern Orthodox Tradition*, ed. Matthew J. Pereira ,(New York: 2010), pp.144-162,esp.144-145; George Finlat, *History of from its conquest by the Romans to the present time : Mediaeval Greece and the Empire of Trebizond : A.D. 1204 - 1461*, Volume 4, the Bavarian State Library, Clarendon Press, (1877), p.167

وترتكز الفلسفة البيزنطية للعمل الخيري في مفهوم الرحمة؛ خاصة وأن الرب طلب رحمة الإنسان لأخيه الإنسان، وأن لا تكون هذه الرحمة عاطفة عابرة تشتمل على الرأفة والشفقة فقط، بل أيضًا التزامًا واقعيًا ملموسًا، وهو ما تم التأكيد عليه كثيرًا في الكتاب المقدس، وظهر التعبير عنه في العديد من الكتابات التاريخية، وفي أختام الأديرة والكنائس والمؤسسات الاجتماعية الأخرى [١].

وبناءً على هذا تراحم اليزنطيون فيما بينهم، وعبروا عن هذا الحب والإحسان في جهود حثيثة للتخفيف عن البسطاء والمستضعفين، في محاولة لإرشادهم إلى يقين الإيمان، وتوجيههم نحو حياة هادفة، ففكروا بجدية في "إخوانهم الفقراء"، بما في ذلك المرضى والمشوَّهين، وقدموا الحماية للأيتام والأرامل، وقدموا الإغاثة للمحتاجين وكبار السن والأسرى والغرباء والأجانب المحتاجين، ولم يفعلوا كل ذلك لمجرد سخاء أو إندفاع عاطفي، ولكن فعلوه بدافع المحبة. [٢]

وفي حقيقة الأمر; اختلفت الأعمال الخيرية في بيزنطة بمفهوم عصرها، مقارنة بما نفهمه اليوم على أنه عمل خيري ينطوي على تقديم العلاج للمرضي، والاهتمام بعامة الناس، والسعي للتخفيف من معاناتهم؛ حيث لم يكن الأمر كذلك، ففي الفكر البيزنطي؛ اتخذت الأعمال الخيرية أشكالًا متعددة تتمثل في الآتي: أولاً : بعُدًا فلسفيًا ولاهوتيًا مستمد من الكتاب المقدس. ثانيًا: سمة سياسية مارسها الأباطرة وكبار رجال الإمبراطورية. ثالثًا: صدقة عامة موجهة للفرد المحتاج. ورابعًا: يتمثل ذلك في المؤسسات التي تُقدم تلك الخدمات. وفي حقيقة الأمر نلاحظ أنه كان هناك تشابهٌ بشكل ملحوظ للفهم اليوناني القديم للأعمال الخيرية؛ حيث كانت كل معاني الخيرية هذه سائدة في اليونان القديمة، والمتمثلة في حب الإله للإنسان وحب الإنسان لأخيه الإنسان، وكرم الضيافة، ومساعدة الأيتام والمسنين،

والراهب والقديس البيزنطي سمعان اللاهوتي المحدث St. Symeon the New Theologian (٩٤٩-١٠٢٢م) حث على ضرورة عمل الخير، ومساعدة الفقراء، وكبح جماح النفس، ومن أقواله: قل لي يا بني ، ماذا سنجني إذا وزعنا كل ممتلكاتنا على الفقراء دون أن نكبح أنفسنا عن الشر وحب الفضيلة".

Symeon le Nouveau Théologien, *Caliches*, ed. B. Krivocheine (Paris: Editions du Cerf, 1963-65), vol. 1, no. 5

(1) J A McGuckin. *St. Gregory of Nazianzus: An Intellectual Biography*, (New York: 2001), pp.147-155 ; Demetrios J . Constantelos, *Poverty, Society and Philanthropy in the Late Mediaeval Greek World*, New Rochelle, NY: Ariatide D.Caratzas(1992),p.133.

(2) Demetrios J . Constantelos , *Byzantine Philanthropy and Social Welfare* , (New Brunswick, 1968) p. 66; Robert Byron, *The Byzantine Achievement* (New York: 1929), p. 31

والعمل الخيري المنظم والمنتظم، ومع ذلك اتخذت الأعمال الخيرية في بيزنطة أبعادًا جديدة[١].

وهو ما عبرت عنه مخاوف البيزنطيين الميتافيزيقية –فيما وراء الطبيعة– المتعلقة بمسألة الخلاص وميراث ملكوت الرب الأبدي وتحقيق الكمال على الأرض، ولتحقيق هذا الهدف؛ أصبح بعضهم رهبانًا يعيشون بعيدًا عن متاع الدنيا الزائل، في حين جنح آخرون إلى توزيع ممتلكاتهم على الفقراء والمحتاجين لتحرير أنفسهم وتحقيق غايتهم كنُسّاك، والمتاجرة مع الرب في عمل الخير، مدفوعين بحماسة دينية كبيرة، وهناك فئة ثالثة كرست نفسها لممارسة العمل الخيري داخل المجتمع، كل ذلك من أجل الحفاظ على الحب والمساواة والإخاء والتصدي للشر والأرواح الشريرة، وقد وجد الكثير من البيزنطيين، وسائلَ وطرقًا متعددًة لممارسة الأعمال الخيرية، حتى أن بعض الرهبان طلبوا المال من الأغنياء لتوزيعها على الفقراء، خاصة وأنهم اعتبروا أن العمل الخيري من أهم الفضائل الإنسانية[٢].

ويظهر جليًا أن البيزنطيين، سواء كانوا من الشخصيات الرسمية أو المواطنين البسطاء، أو مسؤولي الكنيسة أو الرهبان المجهولين، فهم في المقام الأول أعضاءٌ في كائن حي ومنظمة واحدة، متمثلتين في جسد المسيح المرئي على الأرض، وكنسيته، ونظرًا لأن الإمبراطور هو خليفة الرب في الأرض، وتجسيدًا للدولة، فقد كان الخادم الرئيس للرب والمدافع عن شعبه المقدس، ولذلك جنح الأباطرة للاهتمام نحو رفاهية الإمبراطورية وإدارتها، وقد كتب يوسابيوس القيصري Eusebius Caesariensis (٢٦٥-٣٣٩م) [٣] أنه نظرًا لأن الرب يمتلك الأعمال الخيرية، فيجب أن يكتسب الإمبراطور أيضًا نفس الصفة" فالإحسان هو السمة الوحيدة التي تجعل الملك محاكيًا للرب"[٤]، وفي خطاب البطريرك

---

(1) *Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, p.18.

وفي دراسته المهمة والمكرسة عن الرفاهية الإجتماعية، يلفت البروفيسور ديميتريوس كونستانتيلوس الانتباه إلى التصور البيزنطي للذات كأمة تفوقت في العمل الخيري على جميع الدول الأخرى.

(2) *Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy and Social Welfare*, p.20; Morris ,R., *Monks and Laymen in Byzantium, 843-1118* , (Cambridge: 2003), p.122

(٣) كان مؤرخًا ومفسرًا للمسيحية، لُقب بأبى التاريخ الكنسي، نظرًا لعمله على تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر، لا سيما وقائع التاريخ الكنسي، أصبح أسقفًا لمدينة قيصرية عام٣١٤م، ويُعد من أكثر المسيحيين تعلمًا في عصره، كتب سيرة ذاتية للأمبراطور قسطنطين الكبير(٣٠٥-٣٣٧م).

Justo L. Gonzalez, *The Story of Christianity: Volume 1: The Early Church to the Dawn of the Reformation*,(HarperCollins:2010), pp.149-150

(4)Eusebios, *De Laudibus Constantini*, ed. I. A. Heikel, Eusebius Werke, I (Leipzig: 1902), pp.200-206 .

فوتيوس Photios I (٨٥٨-٨٦٧/٨٧٧-٨٨٦م) المُرسل من المنفى إلى الإمبراطور باسيل الأول Basill I (٨٦٧-٨٨٦): راح يشتكي من الظروف القاسية التي يعانى منها، ويطلب من الإمبراطور إظهار إحسانه (epicikeia) ورحمته و يقول فوتيوس: "نحن لا نطلب العرش الأبوي أو المجد أو الرفاهية أو الراحة، ولكن فقط ما يُعطى حتى للأسرى، ويختتم رسالته بطلب الرحمة من الإمبراطور[١].

وقد تم التعبير عن روح العمل الخيري كسمة سياسية في الإمبراطورية البيزنطية اللاحقة في قصيدة إرشادية منسوبة إلى الطفل ألكسيوس كومنينوسAlexios Comnenos ، -ابن يوحنا الثاني كومنينوسJohn II Comnenos(١١١٨-١١٤٣م)- وموجهة إلى نيقفوروس برينوس الأصغر Nicephore Bryennios -ابن آنا كومنينوس [٢] Anna Comnenos (١٠٨٣-١١٥٣م)- نصح المؤلف المُتلقي الإمبراطوري للقصيدة أن يكون فاعل خير ومقلدًا لله لأن الإمبراطور أيضًا يُدعى إلهًا [٣] ويلخص ألكسيوس كومنينوس في هذه القصيدة والتى تُعرف باسم سبانيس"Spaneas" [٤]، دوافع العمل الخيري الإمبراطوري في هذه الكلمات الشاملة: "عندما ترى رجلاً فقيراً أو متسولاً، لا تُدِيرْ ظهرك منه، ابني أحب الفقراء إلى ما

([1])Photii Patriarchae Constantinopolitani Epistulae et Amphilochia, II, ed. B. Laourdas and L. G. Westerink (Leipzig, 1984),pp. 163-167; Tougher, Shaun (1997), *The Reign of Leo VI (886–912): Politics and People*, Leiden, (The Netherlands: Brill 1997),pp.70-71.

([٢]) هي ابنة الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس، كتبت مؤلفًا عن حياة أبيها وأسمته الإلكسياد Alexiad نسبة إليه ويعكس هذا الكتاب مدي التقدم الفكري والعقلي الذي كانت عليه الأميرة آنا، ومقدار الثقافة التي تحصلت عليها، كأميرة وُلدت ونشأت في الأرجوان الإمبراطوري . ويُعد كتاب الإلكسياد واحدًا من أهم المصادر البيزنطية في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو يغطى الفترة من ١٠٦٩م وحتى وفاة الإمبراطور ألكسيوس عام ١١١٨م

Howard-Johnson , J. "Anna Komnene and the Alexiad" In : *Alexios I Komnenos*, ed .M. Mullet & D. Smythe , (Belfast: 1996), pp. 260-302.esp.262

والجدير بالذكر أن كتاب الإلكسياد تُرجم من اليونانية إلى الإنجليزية في ترجمتي سويتر Sewter و داويس Dawes ، ثم ترجمه الأستاذ الدكتور حسن حبشي إلى اللغة العربية. وقد اعتمدت الدراسة على ترجمة داويس.

Comnene ,Anna ., *The Alexiad* ,Trans . E.A.S. Dawes , (London:1967).

آنا كومنينا، الألكسياد، ترجمة د.حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤.

([3])Wanger, Wilhelm, Carmina Graeci Medii Aevi, (Leipzif: 1874), p. 1-4.

([٤]) هي عنوان لقصيدة كُتبت باللغة العامية، لا يزال تحديد مؤلفها محل جدال ونقاش بين المؤرخين، لكن الأرجح أنها كُتبت في القرن الثاني عشر الميلادي، يُقال أن كاتبها رجل عجوز، كانت حياته المهنية فاشلة، وكتبها من المنفى، وهي عبارة عن نصيحة للمرسل إليه مستمدة من الكتاب المقدس.

Alice, M. Talbot, " Spaneas ". In: Kazhdan, Alexander (ed.). *The Oxford Dictionary of Byzantium*. Oxford and New York: Oxford University Press(1991).. p. 1935.

شاء الرب " وهكذا فإن إرادة الرب هي التي تدفع الإمبراطور إلى الإيمان بالعمل الخيري وممارسته[١].

وينطبق الشيء نفسه على الأديرة البيزنطية على الرغم من أنها كانت مؤسسات دينية مستقلة، إلا أنها لبّت احتياجات وتطلعات الشعب البيزنطي للرفاهية الاجتماعية، سواء تجاه العلمانيين أو رجال الدين[٢]

وفي حقيقة الأمر كان للحضارة اليونانية والرومانية أثر كبير في تشكيل الهوية الثقافية والفكرية للمجتمع البيزنطي، وأثرتا عليه بشكل واضح سواء في المذاق الأدبي، أو الأفكار عن العالم المادي وأنظمته الفلسفية[٣]، فضلًا عن الجوانب الدنيوية الأخرى كالألعاب والأطعمة، والمهرجانات، والخرافات، ولذلك فمن غير المدهش أن العالم اليوناني الروماني ساعد أيضًا في تشكيل أفكار البيزنطيين التي تشكلت عن الرعاية الاجتماعية للمعوزين الأيتام والطرق التي سلكوها لمساعدتهم [٤].

---

(1) Wagner, *Carmina*, pp. 22, 232; *Demetrios J . Constantelos , Byzantine Philanthropy,p.215*

(2) Norman H . Baynes , *The Byzantine Empire* (London: 1925), p. 74,98.

(٣) عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية"، مجلة المؤرخ المصري، يصدرها قسم التاريخ بآداب القاهرة، العدد ٢٨ ، يناير ٢٠٠٥ م، ص ٣٩- ٧٤ .أُعيد نشره في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٤٣ ، ٢٠٠٥ م، ص ٥٣ – ٨٠.

(٤) على الرغم من أن الحضارة الرومانية أثرت بشكل مباشر في الدولة البيزنطية ونظامها القانوني، إلا أن الحضارة الإغريقية القديمة، قد أحدثت تأثيرا أكبر على المجتمع الروماني الشرقي. فأولًا: تقع العاصمة البيزنطية ومقاطعاتها التي تحكمها في النصف المتحدث باللغة اليونانية من الإمبراطورية الرومانية السابقة، وبالتالي كان الخاضعين للإمبراطور البيزنطي إما من سلالة اليونانيين القدماء أو من هؤلاء الشعوب الذين تحولوا إلى يونانيين في عصر فتوحات الإسكندر الأكبر. ثانيا: إن اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية كانت في الحقيقة هي اللغة اليونانية القديمة، وبعد منصف القرن السادس الميلادي، استخدمت الحكومة اللغة اليونانية لكل المراسم والقوانين والممارسات القانونية، كما أن الكنيسة البيزنطية ورثت اليونانية من المجتمعات المسيحية في عصور الأنبياء والرسل. ثالثًا: لقد كان للبيزنطيين المتعلمين سهولة الحصول على الأدب اليوناني القديم أكثر من سهولة وصولهم للأعمال اللاتينية. ولذلك تعد دراسة كيفية تناول الأدب اليوناني لموضوع الرعاية الاجتماعية، بالإضافة إلى معرفة التأثير الروماني في هذا الجانب والذى كان له دورٌ كبير في تتبع ثقافة المجتمع البيزنطي وبناء خلفية أيديولوجية أثرت بالتأكيد على سلوكيات وإدارة البيزنطيين لموضوع الرعاية الاجتماعية وعليه يجب التركيز بشكل حصري على دراسة النصوص القانونية والأدب اليوناني/الإغريقي – مشتملا على الشعر الملحمي، والدراما، والبلاغة (الخطابة)، والفلسفة السياسية، وسير القديسين – وهي تلك النصوص الكلاسيكية التي أثرت بشكل كبير وبارز على فكر وأيديولوجية الصفوة في المجتمع البيزنطي.

Timothy S. Miller , *The Orphans of Byzantium : Child Welfare in the Christian Empire* (Washington , D.C : 2003),pp.23-24;Wilson, N. G. *Scholars of Byzantium.* Baltimore: (Johns Hopkins University Press:1983),pp.1-27

ولقد كُتِبَ الكثير عن مصطلح الإحسان في الفترة الكلاسيكية، والرومانية، وفي المسيحية المبكرة، وقد استنتج المؤرخون أن العمل الخيري اليوناني كان قريبًا جدًا من مفاهيم الرأفة والرحمة والتي اعْتُبِرتْ صفة للآلهة والحكام والمواطنين المتحضرين(١).

والجلي أن العمل الخيري من منظور لاهوتي: هو حب إلهي تجاه البشرية عبر عنه الرب في صنع الإنسان وتكريمه، وفي مجال الحياة السياسية كان العمل الخيري في المقام الأول يتمثل في "رحمة القيصر" ، وعادة ما اقْتُرِنَ بصفات مثل (الإحسان) و (والتلطف)؛ وفي قاموس المفردات الخاصة بخطباء وبلغاء القرن الرابع الميلادي ارتبطت الأعمال الخيرية بالتقوى والعدالة والوداعة، وهي صفات تعبر عن المفهوم المسيحي للحب والخير والإحسان (٢).

وقد استخدم المؤلفون البيزنطيون الكلمة اليونانية Philanthropie والتي تعني " حب الإنسانية" أولاً وقبل كل شيء بمعنى أخلاقي عام لتعني الرأفة والرحمة واللطف وما نحو ذلك بما يحقق مفهوم الرفاهية، وتم استخدام مصطلحات أخرى مثل إليموسيناري Eleemosynary والتي تعني "الإيثار وفعل الخير"، وكلمة يورجيسيا Euergesia والتي تعني "الإحسان"، وغيرها من المصطلحات، التي تدور في فلك واحد حول أعمال الخير والإحسان وحب البشرية (٣).

على أي حال كانت الإمبراطورية "دولة مكرسة للعمل الخيري"، وكان البيزنطيون مهتمين كثيرًا بالفضائل: كالعدالة، والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري، والأعمال الإنسانية بشكل عام"، وتشبه كلمة فيلانثروبيا البيزنطية مصدرها اليوناني " φιλανθρωπία "

(1)Kazhdan, Alexander "Byzantium and Social Welfare" In E . A . Hanawalt / C . Lindberg (eds .) , *Through the Eye of a Needle : Judeo - Christian Roots of Social Welfare*, (Kirksville: 1994),pp.67-82,esp.68; R. Le Deaut. 'Philanthropia dans la littérature grecque jusqu'au Nouveau Testament.' Mélanges Eugène Tissserant vol. 1. (Rome: 1964), pp.255-29 ; Bell, H. I. 1, 'Philanthropy in the Papyri of the Roman Period', Hommages à Joseph Bidez et à Franz Cumont, Collection Latomus II, (Brussels: 1948), pp. 31–37

(2)Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare", p.68

(3) Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare",p.70

على نفس المنوال؛ استخدمت النصوص البيزنطية اللاحقة مصطلح الأعمال الخيرية دون تحميله بمعنى خاص بالعمل الخيري. وفي النص القانوني إيكلوجا Ekloge الذي يعود للقرن الثامن الميلادي للقرن الثامن، يظهر المصطلح مرة واحدة فقط ، وخاليًا من أية دلالة على الرفاهية الاجتماعية; إنما كان بغرض الرأفة واللطف.

Ecloga.*Das Gesetzbuch leons III. und Konstantinos' V*.,ed.L.Burgmann(Frankfurt a.M.: Lowenklau-gesellschaft: 1983), p.160

philanthrōpía، والذي يعني "الجهود المبذولة لتعزيز رفاهية الإنسان"[١] وبالتالي يمكننا تفسير الأعمال الخيرية البيزنطية على أنها تعني الرفاهية الاجتماعية.

وفي ذات السياق فقد قبل المجتمع البيزنطي كنظيره الغربي الأوروبي، المعايير والضوابط الأخلاقية المستمدة من العهدين القديم والجديد بوصفها أوامر ملزمة، فسعت الحكومة البيزنطية والكنيسة الأرثوذكسية على مدار تاريخها إلى تشكيل المؤسسات والأعراف الدينية وفقًا لتوجيهات الكتاب المقدس؛ حيث إن الكتاب المقدس نفسه أشار" إلى أن المسيح سيكافيء الذين أطعموا الجياع وأوا المتشردين، وزاروا المرضي"[٢]، وإن كان نظام المؤسسات الخيرية أكثر تطوراً في بيزنطة منه في العالم الغربي في العصور الوسطى[٣]، حيث ظل الغربيون مهتمين بمنظومة الرفاهية الاجتماعية البيزنطية؛ والدليل على ذلك وجود العديد من المصطلحات اليونانية التي تشير إلى مؤسسات الرعاية الاجتماعية مثل إكسينودوخيوم xenodochium "الفندق"، بتوخوتروفيوم ptochotrophium" بيوت الفقراء"، نوسوخوميوم nosochomium " الرعاية الصحية"، أورفاناوترفيوم orphanotrophium " رعاية الأيتام"، مكان مخصص للأيتام gerontochomium" جيرونتوخوميوم" " دار اللقطاء أو الأيتام برفانتوريوم brephotrophium " مع وجود تفسيرات لاتينية لها[٤].

هذا وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنه بدافع الإيمان المسيحي لمساعدة المحتاجين دعم المسيحيون البيزنطيون مجموعة من المؤسسات الخيرية مثل: مستشفيات للمرضى، وملاجئ للمشردين، ودور استراحة للمسنين والمصابين بأمراض مزمنة، وقد طورت الحكومة هذه المؤسسات الخيرية المتخصصة خلال القرن الرابع والخامس والسادس لمساعدة آلاف الفقراء الذين تجمعوا في المدن الكبرى في شرق البحر الأبيض المتوسط مثل أنطاكية

---

(١) تنقسم الكلمة اليونانية "philanthrōpía" إلى مقطعين الأول"phil" والذي يعني "محب" والثاني "anthrōpía" والذي يعني البشرية، وبالتالي فإن المصطلح يعني المحب للبشرية والعمل على رفاهية الإنسان والتي شارك فيها الرجال والنساء والسادة والعبيد على حد سواء.

Nicolette Naylor and Halima Mahomed،" An exploration of love in the time of inequality: philanthropy and social justice", In : *Handbook on Global Social Justice*, ed. Gary Craig, (Edward Elgar Publishing: 2018), pp.428-446,esp.429.

(٢) إنجيل متي(٢٥: ٣١-٤٦).

(3)Henry E. Sigerist, "An Outline of the Development of the Hospital," *Bulletin of the History of Medicine* 4 (1936),pp.573-581,esp.579ff

(4) B. M. Kaczynski, "Some St. Gall Glosses on Greek Philanthropic Nomenclature." *Speculum* 58 (1983), pp.108-1017,esp.1010f ; Bernice M. Kaczynski, *Greek in the Carolingian Age. The St. Gall Manuscripts* (Cambridge, Mass.: Medieval Academy of America: 1988),p. 61.

والإسكندرية والقسطنطينية[١]؛ فمن منتصف القرن الرابع على الأقل حتى أواخر القرن الثاني عشر، تم تأسيس مجموعة ذات نطاق واسع من المؤسسات الخيرية في الإمبراطورية البيزنطية من قِبل الأباطرة ورجال الكنيسة والرهبان والعلمانيين، وقد أثارت هذه المؤسسات إعجاب المؤرخين المحدثين بشكل خاص تجاه بيزنطة، كمجتمع خيري فريد[٢].

ويمكننا في البداية أن نميز بين فئتين من مؤسسي ومديري الأعمال الخيرية البيزنطية، الفئة الأولي: هي الدولة متمثلة في الإمبراطور والكنيسة وتُعبر عنها الأديرة والمؤسسات الكنسية، والفئة الثانية متمثلة في الأفراد؛ ففي الإمبراطورية الرومانية الوثنية، كانت الدولة (التي جسدها الإمبراطور) هي التي مارست وظيفة دعم الفقراء (كل من شملته هذه الفئة)؛ حيث كانت الدولة تميل إلى تقييد النشاط الخاص في توزيع الإعانات؛ لأنه يهدد النظام الاجتماعي[٣]، أما الدولة البيزنطية فقد عملت فيها الدولة، والكنيسة الأرثوذكسية، والحركة الرهبانية، والأثرياء معًا لتوفير زينون Xenon (مستشفيات) وجيروكوميا (دور راحة) وزينودوخيا xenodocheia (مساكن) وبتوخيا Ptocheia (ملاجئ للفقراء) للمواطنين المحتاجين في القسطنطينية ودور للأيتام Orphanages في القسطنطينية، وتسالونيكي، ونيقية، ومدن أخرى وحتى قرى الإمبراطورية، من بين هذه المؤسسات الخيرية العديدة[٤].

أما عن الفئة المستهدفة للرعاية الاجتماعية في المجتمع البيزنطي، فتشير الروايات التاريخية أن متلقي الصدقة في العالم البيزنطي هم الفقراء وغالبًا ما يظهرون مرتبطين بالأيتام والأرامل والسجناء والجوعى والعطشى وحتى الرهبان والمؤسسات الدينية، والسؤال الذي يطرح نفسه؛ من هم الضعفاء أو الفقراء الذين يحق لهم الحصول على مخصصات حكومية أو كنسية أو خاصة؟ هل هم المحتاجون الحقيقيون فقط أم أن مفهوم المتلقي للرفاهية الاجتماعية أوسع من مفهوم المحتاج؟ خاصة وأنه كان لدى البيزنطيين عدة مصطلحات تشير للفقراء[٥] علاوة على ذلك، كان معدل الضرائب على الفلاحين الفقراء أثقل

([1])Miller .Timothy, "The Care of Orphans in the Byzantine Empire," In: *Medieval Family Roles: A Book of Essays*, edited by Cathy Jorgensen Itnyre (New York, London: Garland Publishing, Inc., 1996), pp. 121-136, esp.121.

([2])Brown, Peter ,*Poverty and Leadership in the Later Roman Empire*, (London: 2002), pp. 33-34.

([3])Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare", p.70.

([4])Timothy S. Miller, "The Orphanotropheion of Constantinople," In: *Through the Eye of a Needle : Judeo - Christian Roots of Social Welfare*, (Kirksville: 1994),pp,83-104,esp.83.

([5])Patlagean , E.,.*Pauvreté économique et pauvreté sociale à Byzance* (Paris : 1977),pp. 25ff.

من مثيله على جيرانهم الميسورين[١] وكان الأقوياء وليس الفلاحون هم الذين مُنحوا الإعفاء الضريبي والذى يسمى إكسكوزاتيو ἐξκουσσεία excusatio [٢]

في واقع الأمر، لم يتم اختيار متلقي رفاهية الدولة على أساس الفقر الفعلى لسبب واحد وهو أن الأعمال الخيرية الكنسية والخاصة كانت أكثر توجهاً نحو جميع المواطنين ممن تتوافر فيهم شروط الاحتياج والعجز عن مساعدة أنفسهم، على الرغم من أن غموض الفكرة البيزنطية عن الفقر يترك السؤال مفتوحًا للتفسير، إلا أنه بالتأكيد يمكننا دائمًا العثور على أمثلة للمساعدة التي تلقاها أعضاء الطبقة الاجتماعية الدنيا، بما في ذلك العبيد القدامى، ولكن هل كان هناك نظامٌ للرفاهية أو المساعدة التلقائية التي تدخلت عندما كان الفرد يعاني من ضعف جسدي أو اقتصادي أو عندما يُصاب السكان بكارثة (مثل المجاعة أو الزلزال)؟ نحن على علم بمؤسسات خيرية مختلفة في بيزنطة، لكننا لا نعرف لمن كانت متاحة أو من كان بإمكانه الوصول إلى النُزل والمستشفيات التي تديرها الكنيسة، إلا أنه يمكننا أن نفترض أن الرفاهية الاجتماعية كانت بمثابة صمام أمان لتنظيم فزع واكتئاب الجماهير، خاصة في وقت الكوارث العامة وتقلبات الزمان لجميع أفراد المجتمع [٣].

هذا وقد نُسب إلى العديد من الأباطرة البيزنطيين الكثير من العمل والتشريع في التخفيف من البؤس العام والخاص، حيث توقع البيزنطيون من حكامهم أن يمارسوا الأعمال

([1])Angeliki E . Laiou - Thomadakis , *Peasant Society in the Late Byzantine Empire* (Princeton : Princeton Univ . Press : 1977),p. 180.

في الحقيقة أصبح دعاة الفقر، والمتقشفون، والملهمون، أصحاب سمات متميزة في المجتمع حيث إنهم لم يتركوا الأمر لله ليطعمهم وهو يطعم الطيور الصغيرة ، لكنهم أطلقوا العنان الكامل لجشعهم وذكائهم وغالبًا ما كان الأمر يبدو سهلاً للغاية، لأنه في هذه الإمبراطورية المتدينة كان من المعتاد التبرع بسخاء للكنيسة علاوة على ذلك، كانت الكنيسة في البداية، هي التي تدير المؤسسات الخيرية المختلفة – دور الأيتام ، ومنازل المتعذرين ، ومنازل المسافرين، وقد وجد هؤلاء ضالتهم في مثل هذه المساعدات دون الحاجة إلى العمل والتعب.

Rene Guerdan , *Byzantium : Its Triumphs and Tragedy* ,(New York: 1957), p. 85.

([2])Ostrogorsky, G., *Pour l'histoire de la féodalité byzantine* (Brussels: Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves: 1954), p.337

إكسكوزاتيو : هي إعفاء من أي ضريبة أو رسوم بخلاف ضريبة الأملاك الأساسية، وغالبًا ما يتم منحه للمؤسسات الدينية والخيرية، من أمثلة الإعفاء الضريبي: أن الإمبراطور قسطنطين السابع في عام ٩٤٦/٩٤٥م منح الإعفاء لدير برودروموس Prodromos at Leontia بالقرب من تسالونيك.

Oikonomides,N., *Fiscalité et exemption fiscale à Byzance (IXe-XIe s.)*, Fondation nationale de la recherche scientifique, Institut de recherches byzantines,(1996), p.156; Mark C. Bartusis, *Land and Privilege in Byzantium: The Institution of Pronoia*,(Cambridge: 2012),p.76.

([3]) Kazhdan, "Byzantium and Social Welfare",p.78.

الخيرية والإحسان، وأن يطبقوا سياسات إنسانية، ويكبحوا جماح القوة، ويظهروا الحب لرعاياهم؛ فكان يجب على الإمبراطور أن يُقلد الرب في الأعمال الصالحة؛ لأنه بما أن الرب يحكم العالم، فإن الإمبراطور يحكم الدولة، ويجب عليه أن يعكس الصفات الخيرية للملك السماوي، وتُعد أبرز هذه السمات هي حب الخير والأعمال الخيرية، الأمر الذي دفع الأباطرة للاستجابة للطاعة والامتنان لمحبة الرب للبشرية، وعملوا على أن يتركوا سجلاً لرعايتهم في مشاريع بناء الكنيسة والأديرة التي تمثل تكريمًا لإيمانهم، وعلى هذا النحو كان يُعتقد أن الإمبراطور يتلقى إلهامه وردع قراراته ليس كإنسان عادي، ولكن بصفته نائب الرب على الأرض، فكان لزامًا عليه أن يفكر ويتصرف مثل الرب في مسائل العمل الخيري والعدالة وغيرها من الفضائل الأخلاقية والدينية[١].

وتشير الدلائل بقوة، إلى أن العمل الخيري كان يُمارس كفضيلة في حد ذاته، لا سيما من قِبل أشخاص متدينين مثل: الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م)، وقسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII (٩١٣-٩٥٩م) والإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس Alexios I Comnenos (١٠٨١-١١١٨م) ويوحنا الثاني كومنينوس وغيرهم كثيرون، وسوف نقتصر الحديث هنا عن سياسة الإمبراطور إلكسيوس كومنينوس تجاه المحتاجين وذوي الاحتياجات وكبار السن والأيتام أولئك الذين فقدوا أسرهم وكان عليهم مواجهة العالم دون دعم من آبائهم وأمهاتهم، وكذلك دعم الإمبراطور لرجال الدين والرهبان، وسنحاول في هذه الدراسة الإجابة على عدد من التساؤلات أهمها من هم الفئة المستهدفة والتي خصهم تحديدًا الإمبراطور ألكسيوس بالرعاية؟ وماذا كان هدفه من وراءه إقدامه على مثل هذه الأعمال؟ وكيف قدم كافة المساعدات المادية والحماية الخاصة لهم؟ [٢].

([1])Norman H . Baynes , *The Byzantine Empire* (Home University Library , (London: 1925), p.70

([٢]) تشير الروايات التاريخية أن الإمبراطور جستنيان الأول وثيودورا قد شيدا " نُزلًا ضخمة بجانب البحر بالقرب من الأكروبوليس لاستقبال سكان وأهالى المقاطعات التي كانت تأتي إلى القسطنطينة لتقديم دعواهم أمام محكمة الإمبراطور.

Charalambos Bakirtzis , "*Secular and military buildings*"In *The Oxford Handbook of Byzantine Studies*, edited by Elizabeth Jeffreys and others, (Oxford: 2008), pp.373-384,esp377.

ويضيف ثيوفانيس أن الإمبراطور رومانوس ليكابينوس خلال سنته الثانية والعشرين قام بعمل العديد من الأعمال الخيرية ، حيث بنى ثكنات خاصة وغطى أقواس الصمة أو الأروقة حيث كان المتسولون والمساكين يقضون أمسياتهم فيها.

Theophanes Continuatus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, CSHB, (Bonn: 1838),pp.218-229ff.

تُعتبر المؤسسات الخيرية ودور العائلة الإمبراطورية فيها متمثلة في بعض الشخصيات البارزة في العائلة الإمبراطورية فصلًا مهمًا في الأعمال الخيرية البيزنطية، حيث تشير الأدلة إلى أن جميع العائلات الإمبراطورية في أواخر القرن الحادي عشر والثاني عشر كانت مشغولة عمليًا بالنشاط الخيري، ويُعد ألكسيوس كومنينوس هو مثال جيد، حيث إنه وفقًا لابنته آنا كومنينوس : كان الإمبراطور ألكسيوس شخصًا إنسانيًا وخيرًا للغاية، تتجلى طبيعته الإنسانية ليس فقط من خلال إنشائه للمؤسسات الخيرية للفقراء والمرضى بل وغيرهم من المحتاجين [١]

(١) ترجع البدايات الأولي لرعاية المرضي وتقديم المساعدات الطبية لهم إلى القرن الرابع الميلادي ، حيث تشير الروايات المصدرية، أن القديس باسيل أسس مجمعًا طبيًا خيريًا لمساعدة المرضي والمحتاجين خارج قيصارية.

Peter Brown, *Poverty and Leadership in the Later Roman Empire*, (Hanover/London: 2002), pp.38-40; Susan R. Holman, *The Hungry are Dying: Beggars and Bishops in Roman Cappadocia*, (Oxford/New York: 2001),pp. 74–75; Evelyne Patlagean, "Les donateurs, les moines at les pauvres dans quelques documents byzantins des XIe et XIIe siècles", In: *Horizons marins, itinéraires spirituels (Ve–XVIIIe siècles)*, Vol. 1, ed. by Henri Dubois, Jean-Claude Hocquet and André Vauchez, (Paris: 1987), pp. 223–231

تدريبات على الفصل الرابع

السؤال الأول بم تفسر ذلك؟

١- اتخذ المجتمع البيزنطي موقف معادي تجاه المرأة.

٢- ممارسة النساء السلطة في المجتمع البيزنطي.

السؤال الثاني : **قم بقراءة العبارات الآتية جيداً ثم اختر علامة** (T) **وظللها في ورقة إجابتك إذا كانت العبارة صحيحة وعلامة** (F) **وظللها إذا كانت العبارة خاطئة.**

١- تميز المجتمع البيزنطي بالتعدد العرقي بين سكانه.

٢- اعترف القانون البيزنطي بحق المرأة في الذهاب للمحكمة.

الفصل الخامس
التعليم في المجتمع البيزنطي

اهداف الفصل الرابع

يهدف هذا الفصل إلى تعريف الطالب بالآتي:

١- أهمية التعليم في المجتمع البيزنطي.

٢-طرق التعليم ومادته.

٣- فرص الفتيات في الحصول علي التعليم.

كان الحصول على قسط موفور من التعليم ، هو المثل الأعلى والفضيلة التي يفتخر بها كل بيزنطي[١]، بينما كان نقص المرء من التدريب والتثقيف العقلي يعد في حد ذاته جريمة كبري[٢]. فالمجتمع البيزنطي يعتبر من المجتمعات المثقفة خلال فترة العصور الوسطي، علي الأقل بين طبقاته المتوسطة والعليا[٣]، هذا إلى جانب أن التعليم هو الطريق الذي يفتح أمام الفرد الفرصة لدخول عالم البيروقراطية الإمبراطورية ، حيث كانت هناك علاقة وطيدة بين النظام التعليمي وبين النجاحات الدبلوماسية التي حققتها الإمبراطورية البيزنطية ، فلغة الخطابة البيزنطية لم تكن مجرد قوة تعليمية كبري فحسب، بل كانت وسيلة للحياة أيضاً [٤].

وكان التعليم في الإمبراطورية البيزنطية يُعد استمرار للمدرسة الكلاسيكية القديمة . فالتعليم في الفترة المبكرة من عمر الإمبراطورية البيزنطية لم يكن سوي امتداد لما كان عليه خلال الفترة الرومانية المتأخرة [٥] ، وكان نظام التعليم يتم على ثلاث مراحل :-

(1) Laiou , "The Role Of Women in Byzantine Society" p. 253.

(٢) ستيفن رانسيمان، *الحضارة البيزنطية* ، ص ٢٦٩.

(٣) هسى، *العالم البيزنطي* ، ص ٢٨٥.

(4) Kustas ,G., "The Function and Evolution of Byzantine Rhetoric" *in : Greek Literature: Greek literature in the Byzantine period* ,ed .G. Nagy Greek Literature Vol . 9, Routledge, 2001 , pp.179-198 .esp. 188.

(5)Irénée M. H ., *A history of education in antiquity*, Univ of Wisconsin , Press , 1956, p.340.

كان نمط التعليم في الإمبراطورية الرومانية مستندًا إلى الثقافة الإغريقية ، حيث كان الأرستقراطيون الرومان يعلمون أطفالهم اللغة اليونانية ، وكانت كل المدارس تُدرس اليونانية ، وكانت المناهج الدراسية الإغريقية هي المعمول بها في المدارس اللاتينية.

Wilson N. G., *Encyclopedia of ancient Greece*, Routledge, 2006, p. 253.

- المرحلة الأولى وتسمى المرحلة الأولية.
- المرحلة الثانوية .
- المرحلة العليا .

وقد انتشرت المدارس النظامية في المدن و القرى علي السواء ، و كانت معرفة القراءة والكتابة وإجادتها منتشرة في الإمبراطورية البيزنطية مقارنة مع نظيرتها في غرب أوربا خلال تلك الفترة [١]. وفي المرحلة الأولية من التعليم كان يُدرس القراءة والكتابة وكان يشرف عليهم المعلم ديداسكالوس didaskalos[٢] .أما المرحلة الثانوية فكانت قاصرة علي مدارس العاصمة ، وركزت جل اهتماماتها على دراسة الشعر الكلاسيكي، خاصة أشعار وملاحم هوميروس ، ويُدعى المشرف على هذه المرحلة "النحوي" أو "جراماتيكوس grammatikos" [٣] .أما المرحلة العليا– فركزت على

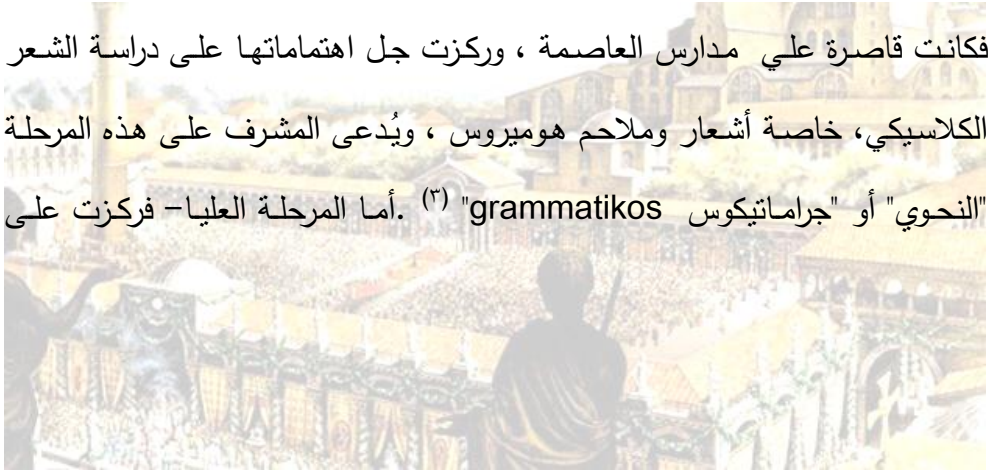

(1) Browning ,R., *The Byzantine Empire*, CUA Press, 1992, p. 82-3.

(٢) مصطلح عام يطلق على رجال الدين أو العلمانيين اللذين كانوا يعملون كأساتذة ، وهو المصطلح الذي اقترن بالرجال التابعيين للمدرسة البطريركية في آيا صوفيا سواء في التعليم أو الإيمان أو تفسير الكتاب المقدس، وقد حدد الإمبراطور الكسيوس كومنينوس واجباتهم الرئيسية= =في مرسوم ١١٠٧م بتجنيد رجال الدين أو الرهبان أو العلمانيين اللذين لديهم الفضيلة ولهم القدرة على التعليم ، وتأكدت واجباتهم في التفسير والوعظ.

Macrides, R. J. , "Didaskalos" , *ODB* , p . 619.

(٣) بالإضافة إلى معناها العام "عالم أو مُعلم" فقد استخدمت أيضا للدلالة على السكرتير أو الكاتب وهو نفس الدلالة التي استخدمت للمصطلح في عصر أسرة كومنينوس.

Kazhdan ,A., "Grammatikos" ,*ODB* , p. 866.

دراسة البلاغة الكلاسيكية والأدب [١]–فقد كانت مطلباً مهماً ورئيسياً لشغل المناصب البيروقراطية المهمة والتي كانت تحت إشراف مدرس علم البيان Scholaticus[١].

كما لم يدخل أي تغيير على مادة التعليم خلال تلك الفترة فكان على الصبي الذي يُناهز السادسة من عمره دراسة الأجرومية "طبع لسانه بالطابع الهليني " فضلاً عن القراءة والكتابة والآداب الكلاسيكية خاصة أعمال هوميروس [٢]، إذ كان على التلميذ أن يحفظ أشعار هوميروس عن ظهر قلب وغيره من المؤلفين الكلاسيكيين الآخرين[٣]، وقد وصلت إلينا صيغة اختبار عُقد لأحد التلاميذ وكانت أشعار هوميروس هي محور الاختبار:

- س: من هو والد هكتور؟
- ج:بريامـوس.
- س: ما أسم أخويه؟
- ج:اسكندر وديفوبوس.
- واسم أمه؟
- ج:هيكابي .
- س: كيف عرفت ذلك؟

(1)Rautman , *Daily life in the Byzantine Empire* , p. 281.

(1) Browning , *The Byzantine Empire*, pp. 82-3.

(٢) ستيفن رانسيمان، *الحضارة البيزنطية* ، ص ، ٢٦٩.

(3) Robins R. H. , *The Byzantine grammarians: their place in history* , *Trends in linguistics: Studies and monographs*, V. 70, Walter de Gruyter, 1993, p. 127.

✍ ج:من هوميروس، وكذلك من هلانكوس Hellanicus (مؤرخ يوناني ٤١١ق.م) [١]

وعندما يبلغ التلميذ سن العاشرة أو الثانية عشرة يتجه لدراسة النحو الذي لم يكن مقتصراً على تصريف الأسماء والأفعال وتراكيب الجمل بل على دراسة الآداب القديمة ، حيث كانت العبارة تُقرأ و تُعرب وتُحلل وتُفسر كلماتها الصعبة وتدرس اشتقاقاتُها الصرفية [٢]، وإذا ما بلغ التلميذ سن الرابعة عشرة يتجه لدراسة البلاغة ، ثم ينتقل بعد ذلك لدراسة الفلسفة والفنون الأربعة الحرة وهي الحساب و الهندسة والموسيقي والفلك . وكان التعليم الديني يسير جنبًا إلى جنب مع التعليم العلماني ، و إن كان رجال الدين هم المعنيون بتدريسه ، وكان علي الأطفال حفظ الكتاب المقدس [٣]، بينما كان الوعُاظ المسيحيون يذكّرون دومًا الآباء بواجبهم الشخصي تجاه تعليم وتربية أبنائهم ، إلا أن الآباء في كثير من الأحيان يستسهلون الأمر ويلقون مهمة التربية على عاتق المربين [٤].

أما عن طريقة التعليم الديني فكانت كالآتي : أولا تعلم حروف الأبجدية اليونانية ، وبعد إتقانها يتجه الطلاب إلى تشكيل المقاطع ، وهجاء أسماء شخصيات أسطورية أو توراتية ثم حفظ المزامير والنصوص التوراتية المقدسة ، وبعدها يقوم المعلمون بشرح معجزات الإنجيل . وقد نصح المعلمون على استخدام الألعاب والمسابقات المختلفة

(١) طارق منصور محمد، قطوف من الفكر البيزنطي، الجزء الأول الأدب، القاهرة، ٢٠٠٢ ص ٨.

(٢) بينز، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د حسين مؤنس، و محمود يوسف زايد،القاهرة، ١٩٥٠،ص ١٩٤

(٣) طارق منصور محمد، قطوف من الفكر البيزنطي ، ٢٠٠٢، ص ٦-٧.

(٤) بينز، الإمبراطورية البيزنطية ، ،ص ١٩٤.

من أجل تحفيز الطلاب . كما كانت هناك فرص ضئيلة جداً من أجل استكمال الدراسات المتقدمة خارج القسطنطينية ، وهذا بطبيعة الحال يتوقف على المستوي الاجتماعي للطالب [١] .

أما عن فرص الفتيات في الحصول علي التعليم ، فنجد أنها كانت قليلة للغاية نتيجة لأيديولوجية المجتمع التي تري أن مصير الفتيات هو الزواج وتربية جيل جديد من الأطفال، وهنا تجدر الإشارة إلى المقولات القديمة التي كانت تتردد والتي تنادي بأن " النساء يجب أن يُعلمن، ولكن ليس أكثر من اللازم ، بل يجب أن يكون هذا التعليم بما يكفي لتعليم الأطفال " [٢]، لذلك استُبعد حضورهن المدارس النظامية ، وفي المقابل كانت أولئك الفتيات يتلقين دروساً خاصة في منازلهن [٣]، إلا أن هناك العديد من الشواهد تشير إلى أن فتيات الطبقة الأرستقراطية العليا قد نلن نصيباً وحظاً موفورا من العلم والثقافة [٤].

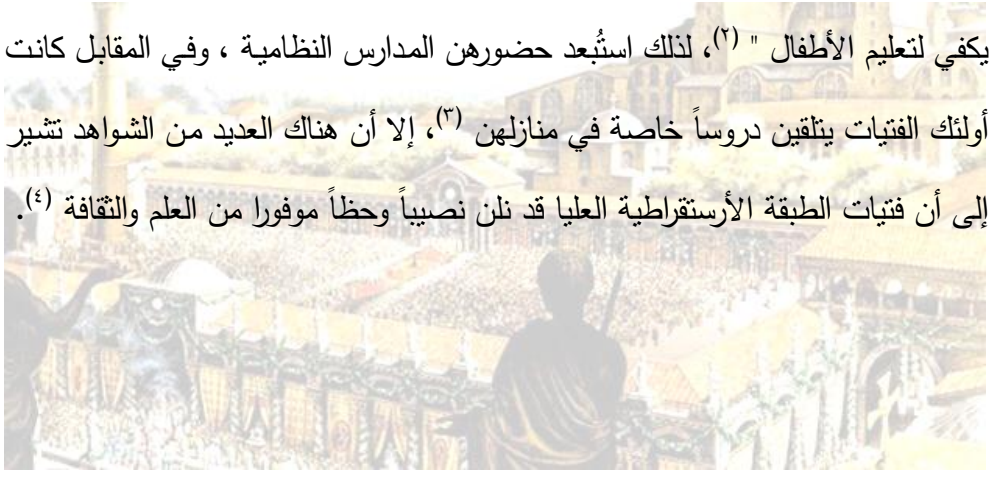

(1)Rautman , *Daily life in the Byzantine Empire* ,p . 282.

(2) Laiou , " Why Anna Komnene?" in : *Anna Komnene and Her Times* ,ed. Th .G. Peterson , pp.1-14,esp. 5.

(3) Bullough B. & Vern L. Bullough., *The subordinate sex: a history of attitudes toward women* , Penguin, 1974, p. 127.

(٤) عبدالعزيز رمضان، *المرأة والمجتمع*، ص، ١٣٥.

تدريبات على الفصل الخامس

السؤال الأول اكتب مذكرات تاريخية مختصرة عن

١--نظام التعليم المدني والديني في المجتمع البيزنطي

السؤال الثاني : قم بقراءة العبارات الآتية جيداً ثم اختر علامة (T) وظللها في ورقة إجابتك إذا كانت العبارة صحيحة وعلامة (F) وظللها إذا كانت العبارة خاطئة.

١-انتشرت المدارس النظامية في المدن فقط.

٢-التعليم في الإمبراطورية البيزنطية يُعد استمرار للمدرسة الكلاسيكية.